# الموحد ٣

مجلة نباتية فصلية

WWW.ATTAWEEL.COM

أسعد الدين محمد

# دار الخلافة العباسية
# وجامع القصر ..... مرة اخرى

عبدالستار درويش

بغداد

إطلعت على العدد الثاني من المجلد السادس عشر من مجلة ( المورد العتيدة ) فألفيته زاخراً بالبحوث القيمة والدراسات الجادة المتسمة بالعمق والتقصي ـ كشأن هذه المجلة المعطاء في سائر أعدادها ـ ولا غرو أن ينهد الى التوفر على الكتابة فيها رجالات العلم والأدب ممن بلغوا الغاية في الكفاية كل في مجال اختصاصه وممن شهدت بفضلهم المجامع العلمية والأندية الثقافية فهذا مضمار سباقهم وميدان صيالهم ( والمورد العذب كثير الزحام ) .

وقد استأثر بأهتمامي ـ من بين تلكم البحوث والدراسات ـ مقال شائق في موضوع طريف استحق مني المطالعة غبّ المطالعة ؛ ذلك هو موضوع ( دار الخلافة العباسية وجامع القصر في بغداد ) للدكتور الفاضل السيد حسن احمد الراوي . . . وقد حَسُنَ ظنيّ بـ ( الحسن ) إنصافه في مقدمة بحثه المذكور للعلامة الجليل طيب الذكر الدكتور مصطفى جواد ( رحمه الله ) وإشادته بجهوده الكبيرة في اللغة والتاريخ والخطط ، وإعطاؤه النَّصَفَ من نفسه بقوله « . . . علماً بأني لستُ من المختصين في خِطط المدن القديمة ولا التحقيق الخططي لا القديم ولا الحديث » .

ولم أرَ أحداً من الباحثين قبل الدكتور الراوي ناقش في موضوع تعيين دار الخلافة العباسية التي في الجانب الشرقي من دجلة وكونها في المحل الذي عينه ( الجواد ) فيما نقله الكاتب وليس الدكتور مصطفى جواد اول من ذهب الى ذلك فقد سبقه غير باحث ولكن الدكتور مصطفى جواد تبسط في بحث موضوع دار الخلافة ومرافقها وافاض الكلام على المحال المصاقبة لها بل توسّع في ذلك الى ابعد مرمى فعرّف بكثير من محال بغداد بقسميها الشرقي والغربي وتحدث عن مشاهدها ومساجدها وأربطتها ومعاهدها ومحدّثيها . . طيلة مايقرب من نصف قرن .

وقد عنّت لي ـ في أثناء مراجعة بحث الدكتور الراوي ـ ملاحظات كتبتُ معظمها وما بين يديَّ من المصادر إلا القليل فارتأيتُ أنْ أُثبتها ـ بحيث ترى ـ فإنْ وافقت الصواب فذاك حسبي وإنْ عدته فما أحراك برد الحقيقة إلى نصابها وزفّ الفريدة إلى خطابها . . فكلنا الى مَهْيَعِ الحق والرشدِ ساعون ولما يعود على امتنا وعلى بني البشر بالخير مسارعون .

جاء في مقدمة المقال المذكور ص٥ : ( وزوّدنا بتاريخ ) قلتُ الواردُ في فصيح لغة العرب أنّ الفعل ( زوّد ) يتعدى بنفسه الى مفعوليه فالصواب : زوّدنا تاريخاً .

وفي المقدّمة المذكورة : ( بعض الهاوين ) ولا أناقش الأستاذ الراوي في دلالة ( بعض ) على المفرد إذا لم تكرّر فهذه



WWW.ATTAWEEL.COM

( القاعدة ؟ ) منخرمة بورود ( بعض ) دالةً على الجمع في جملة نصوص ـ ليس هذا مقام آستشهادها ـ خلافاً للدكتور مصطفى جواد آلذي يقصر دلالتها على المفرد بالشرط المذكور ، وإنما الكلام على ( آلهاوين ) والصواب : ( الهووين ) أو ( آلهوين ) بحسب موقعها من آلاعراب قال الزمخشري في ( الأساس ) : هَوِيَهُ يهواه ، وهو هَوٍ وهي هَوِيَةٌ قال :ـ

أراك إذا لم أهوَ أمراً هويته ولست لما أهوى من الامر بالهَوِي

وفي المقدمة : نظراً لبعد . . . . . الخ وهذه آلجملة غير جارية على سَنَن العربية ولا صحيحة آلنسب إلى لغتنا آلسّنية وإنما صيغتها تشي بهجنتها وتنمُّ على نحيزتها إذ هي من تركات ماخلّفه كتبةُ آلدواوين أيام العثمانيين ولم نعهد لها آستعمالاً في أساليب آلفصحاء . وحيث آنَّ الجملة تعليلية فإنَّ ( آللام ) وافية بالغرض دالة على المراد ، وما أُقحم عليها من لفظ ( نظراً ) حشوٌ .

وجاء في ص٦ ( المقدمة ) ؛ ( كما حقق عدة كتب تاريخية . . . منها كتاب الحوادث الجامعة لمؤلف مجهول آعتقد الدكتور جواد في وقته أنه لابن آلفوطى فنشره ونسبه إلى آبن الفوطي سنة ١٩٣٢ ـ رغم ـ كذا ـ آعتراض بعض العلماء على هذه آلنسبة ولفتوا نظرَهُ إلى أنه ليس لابن الفوطي لأسباب عدة وإنما هو لكاتب مجهول ) .

قلت هذا آلكلام على إطلاقه غير سديد فإنَّ كتاب ( الحوادث الجامعة والعبر النافعة ) من مؤلفات آبن الفوطي ـ آلمؤرخ العراقي آلشهير ـ من غير شك والذي حصل للدكتور الجواد أنه وقع على كتاب غُفْل من مؤلفه يُعنى بتاريخ تلك آلحقبة وما سبقها فظنه كتاب ( الحوادث الجامعة ) المشار اليه في ( قائمة ) مؤلفات ابن الفوطي فطبعه على أنه الكتاب المذكور ثم بان له آلغلط في كون الكتاب المذكور هو كتاب ( الحوادث الجامعة ) لابن الفوطي فرجع عن ذلك فالصواب أنْ يقال . كتاب ( الحوادث ) آلمسمى غلطاً بـ ( الحوادث الجامعة ) آلمنسوب إلى آبن آلفوطي .

وفي ص٧ « وهي الآن الشارع الأعظم فيما بين عقد آلمصطنع والزادين ) وهذا من أوهام الطبع والصواب : فيما بين عقدي . . . والزرّادين .

ودرب آلزرّادين هذا من دروب باب الأزج في الجانب آلشرقي وسيأتي آلكلام عليه وهناك درب آخر في الجانب آلغربي يُعرف بالزرّادين قال الخطيب البغدادي في ترجمة عبيدالله بن إبراهيم بن عمر الأنصاري آلخزرجي « كتبتُ عنه وكان سماعُهُ صحيحاً . . . ومنزلُه في درب آلزرّادين آلمسلوك فيه من نهر الدجاج إلى نهر آلقلائين »[1] .

وفي ص٩ : ( وباب أبرز هذه كانت تقع . . . . الخ ) والصواب : وباب أبرز هذا كان يقع لأن آلباب مذكّرٌ في لغة آلعرب على كل حال وقد كررّ هذا آلغلط في غير موضع من هذه المقالة .

وفيها ( الباب آلرئيسي ) والصواب : الباب الرئيس .

ومن أغلاط الطبع في ص ١١ : قرداح ظفر والصواب قراح ظفر . وفي ص١٤ : هل هي مجاورة لحظائر الحطب أم بعيدة عنه ؟ ) والصواب أهي مجاورةٌ . . . أم بعيدة . . الخ

وفي ص ٢٥ : ( إنَّ للقصر باب شرقي ـ ) والصواب : باباً شرقياً . وفي موضع آخر ذكر كلمة ( آلمتفرجين ) بالمعنى الشائع ولم ترد في لغة آلعرب بهذا آلقصد أكتفي بهذا آلقدر من التصحيح اللغوي وإنما لم استوف مواقع النظر فيه لأن المراد إنما هو آلتحقيق آلخططي لتعيين دار آلخلافة وما يتصل بها .

وأول دليل ساقه الكاتب في مقام الردّ على مصطفى جواد في تعيينه لدار الخلافة منها القصر الحسني بما يعرف اليوم بشارع المستنصر على دجلة ـ النهر ـ هو مانقله عن الخطيب البغدادي في ( تاريخ بغداد ) قال : قال الخطيب البغدادي عن العمارة على شاطىء دجلة الشرقي في عصره أي في القرنين الرابع والخامس للهجرة فقال ( كذا ) « اخبرني الأزهري قال أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال أنبأنا ابن عرفة قال :ـ وأما شاطيء دجلة من الجانب الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت ودار دينار ودار رجاء بن أبي الضحاك ثم منازل آلهاشميين ثم قصر آلمعتصم وقصر المأمون ثم منازل آل وهب إلى الجسر كانت اقطاعاً لناس من الهاشميين ومن حاشية الخليفة »[2] .

ثم قال الاستاذ بعد ان نقل هذا النص : يظهر لنا من هذا النص التاريخي ان العمران على دجلة بالجانب الشرقي كان ينتهي عند الجسر وليس هناك جنوبي الجسر المذكور وقتذاك أي عمران على الجانب الشرقي من دجلة ( قال ) ولكن لانعرف من اين يبدأ فلابد من معرفة هذا الجسر وموقعه كي يكون لدينا نقطة

انطلاق لمعرفة العمران على الشاطيء الشرقي من دجلة وبدايته .

( قال ) ولقد ذكر الخطيب البغدادي جسور بغداد قبل عصره وخلال عصره فقال : قال لي هلال بن المحسِّن عقد جسر بمشرعة القطّانين سنة ٣٨٣ هـ فمكث مدة وتعطل ولم يبق ببغداد سوىٰ جسر واحد بباب الطاق الى ان حُوّل سنة ٤٤٨ هـ فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي وبين مشرعة الحطابين من الجانب الشرقي ثم عطل ثم نصب بمشرعة القطانين . انتهىٰ .

( قال الراوي ) من هذا يمكن القول إن الجسر المقصود في كلام الخطيب هو الجسر المنصوب بمشرعة القطانين الذي كان موجوداً في زمن الخطيب لانه قد توفي سنة٤٦٣ هـ ـ وهو الجسر الوحيد الذي كان ببغداد وقتذاك ، فان كانت نهاية العمران على شاطىء دجلة الشرقي من بغداد هي عند جسر مشرعة القطانين ومشرعة القطانين هذه كما قال الدكتور مصطفى جواد عنها تقع بالجانب الغربي وهي توافق الآن شريعة بيت الايلجي المقابلة لشريعة المحاكم الواقعة بالجانب الشرقي من دجلة نهاية شارع المتنبي الحالي .

. . . . وإن أول العمران على الشاطيء الشرقي هو القصر الحسني الذي كان دار الخليفة وقتذاك ويعني هذا أن القصر الحسني كان يقع شمالي هذا الجسر المنصوب في مشرعة القطانين لان العمران لم يكن قد امتد الى الجنوب من هذا الجسر بعد ) ثم خلص من هذا الى ان دار الخلافة كانت في موقع وزارة الدفاع الحالية وليست في شارع المستنصر .

وأقول : إنّ الأستاذ الراوي في نقله عن الخطيب البغدادي لم يلاحظ مفهوم النص بدقة وأغمض عما يوجبه متنه وسنده واليك التفصيل .

روىٰ الخطيب هذا الكلام عن الأزهري ( وهو ممن أكثر الخطيب النقل عنه في أكثر المواضع من تاريخه ) عن احمد بن ابراهيم وهذا عن ابن عرفة ، والكلام في هذا النص لابن عرفة لا للخطيب ولا للأزهري فمن هو ابن عرفة هذا ؟

قال الخطيب في تاريخ بغداد « وأخبرني الأزهري قال نبأنا أحمد بن ابراهيم قال نبأنا ابراهيم بن محمد بن عرفة »[2] وساق خبراً .

فابن عرفة هو ابراهيم بن محمد بن عرفة وهو نفطويه النحوي وإذا رجعنا الى ترجمة نفطويه في كتب التراجم ومنها ( تاريخ بغداد ) نجد أنّ وفاته كانت سنة ( ٣٢٣هـ ) قال الخطيب البغدادي في ( تاريخ بغداد ) « اخبرني الأزهري حدثنا أحمد بن ابراهيم قال : توفي ابن عرفة النحوي الأزدي يوم الأربعاء به طلوع الشمس بساعة لست خلون من صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ودفن من يومه بباب الكوفة مع صلاة العصر . . . »[1] .

فتكون وفاة ابن عرفة قبل ان ينصب الجسر الذي عند مشرعة القطانين بستين سنة وبذلك ينتقض على الاستاذ ما أبرمه بكون الجسر الذي ورد في كلام نفطويه ( ابن عرفة ) غير الجسر الذي قصده .

ولنرجع الى النص المذكور ففيه عن ابن عرفة « وأما شاطىء دجلة من الجانب الشرقي فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة في هذا الوقت ودار دينار ودار رجاء بن أبي الضحاك ثم منازل الهاشميين ثم قصر المعتصم وقصر المأمون ثم منازل آل وهب الى الجسر . . . الخ .

فنلاحظ ان الأولية هنا ( اولية زمنية مكانية ) وأنّ هذا النص ابتدأ بذكر البناء من الجنوب إلى الشمال ـ كما سنثبت ذلك ـ بعد وأما ( الاولية الزمكانية ) المفهومة من هذا النص فقد وردت في نصوص أخرى غير مافي ( تاريخ بغداد ) نجتزىء منها نصاً واحداً ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان قال « كان اول ماوضع من الأبنية بهذا المكان قصر جعفر بن يحيىٰ بن خالد ابن برمك وكان السبب في ذلك ان جعفراً كان شديد الشغف بالشرب والغناء والتهتك . . . ثم انتقل الى المأمون فكان من أحب المواضع اليه واشهاها لديه وأقطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة وحيراً لجميع الوحوش وفتح له باباً شرقياً الى جانب البرية وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلى وأبتنىٰ مثله قريباً منه منازل برسم خاصته وأصحابه سميت المأمونية وهي الىٰ الآن الشارع الأعظم فيما بين عقدي المصطنع والزرّادين ، وكان قد أسكن فيه الفضل والحسن ابني سهل . . . وطلبه الحسن من المأمون فوهبه وكتبه باسمه . . وكان يقال له القصر الحسني »[3] .

والذي نلاحظه في ( نص ) الخطيب ان البناء في شاطىء

الجانب الشرقي يبدأ بالقصر الحسني ـ دار الخلافة فيما بعد ـ وينتهي بدور آل وهب عند الجسر فاين كانت تقع دور آل وهب واين موقع الجسر المذكور ـ بعد أن ثبت لدينا أنه غير جسر مشرعة القطانين ؟ إن المشهور في آل وهب الكتاب الوزراء هو سليمان ابن وهب وهو عميدهم وواسطة عقدهم وظهر في عقبه الكتاب والادباء وداره هي التي تنتظم في سلكها دورهم وكانت واسعة جداً ولها في كتب البلدان أخبار وكانت بباب المخرِّم ( العيواضية الحالية وما فوقها بقليل ) .

قال الصابي في كتابه ( الوزراء ) « وانتقل ابو الحسن ابن الفرات من بعد ذلك الى ما اقطعه المقتدر بالله من دار سليمان بن وهب بباب المخرّم على دجلة وما يجاورها من دار ابراهيم بن سليمان . . . . )[٦] وجاء في كتاب الوزراء أيضاً « قال ابو القاسم بن زنجي سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول في وزارته الثالثة في سنة ٣١١ هـ إنّه انفق على الدار التي كان ينزلها في ذلك الوقت . . . وهي دار سليمان بن وهب وموقعها في المخرّم وفي يد الحاجب الكبير أبي منصور سبُكتكين الآن شيء منها . . . )[٧] .

ومن أخبار هذه الدار ودور بعض آل وهب ماذكره الطبري في ( التاريخ ) قال « أمر ابو احمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عبيدالله ، فحبسا وعِدّةٌ من أسبابهم في دار أبي احمد ، وانتهبت دور عدةٍ من أسبابه ووكل بحفظ داري سُليمان وابنه عبيدالله وامر بقبض اموالهما وأموال اسبابهما وضياعهم خلا احمد بن سليمان . . . . . الخ )[٨] .

وهنا لانجد بداً من الاستعانة بنصٍ ذكره الاصطخري المتوفى في النصف الاول من القرن الرابع الهجري في كتابه ( المسالك والممالك ) نستظهر به على صحة ما أوردناه قال « . . . وانتقلت الخلافة الى الجانب الشرقي وهي اليوم اسفل هذا الجانب بالحريم ، ليس وراءها بنيان للعامة متصل )[٩] .

أما الجسر المشار اليه في النص الذي نقله الخطيب عن ابن عرفة فهو جسر ( باب البستان ) ( أي بستان الزاهر المجاور لمحلة المخرِّم ) وقد عقد هذا الجسر في أيام المنصور كما في ( تاريخ بغداد )[١٠] .

ومن الأدلة التي ساقها الدكتور الراوي ما استفاده من كلام الخطيب البغدادي على مسيرة المياه من ( مقسم الماء ) إلى دار الخلافة وقد اطنب في هذا الاستنباط كما في حديثه عن تعيين موقع باب سوق الثلاثاء ثم سار على هذا النمط من الاستنتاج وكل ماذكره هنا هو من باب المصادرة على المطلوب وسيأتي في محله الكلام على سوق الثلاثاء وبه يتم المقصود .

ومن أدلته ماذكره من تعيين محلة نهر مُعلى بما نقله عن ياقوت في معجم البلدان قال ناقلاً عن ياقوت « نهر المعلى وهو اليوم أشهر وأعظم محلة ببغداد فيها دار الخلافة المعظمة وهو نهر يدخل من بابين وهو باق إلى الآن مستمده من الخالص فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى الفردوس ) .

( قال الراوي ) : هذا وإن محلة نهر المعلى تقع بين محلة المخرّم وبين محلة المأمونية وذلك لقول ياقوت عن محلة المخرم « محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى ) وقال ( أي ياقوت ) عن محلة المأمونية ( محلة كبيرة طويلة عريضة ببغداد بين نهر المعلى وباب الأزج ) .

ثم ذكر كلاماً قال بعده : أما الحد الجنوبي لمحلة نهر مُعلى فيقع عند بداية محلة المأمونية وتقع بداية هذه المحلة جنوبي جامع القصر أو جامع دار الخلافة وذلك كما اشار الدكتور جواد نقلاً عن ( مراصد الاطلاع ( قال ) هذا ولما كان جامع القصر متصلاً بدار الخلافة وهو القصر الحسني اي بجواره من الناحية الشرقية ، حيث ثبت لدينا أن القصر الحسني كان يقع في موقع القصر العباسي ) الموجودة بقاياه حتى الآن جنوبي وزارة الدفاع ، لذا فان بداية محلة المأمونية كانت عند جنوب شرقي محلة الحيدر خانة الحالية لأن محلة المأمونية تقع شرقي جامع القصر ، لذا يتبين لنا من ذلك ان محلة نهر معلى كانت تبدأ من عند باب السلطان ( باب المعظم الحالية ) وهو حدها الشمالي وتنتهي عند شرقي أو جنوبي جامع القصر الذي هو بداية محلة المأمونية الذي يقع الآن جنوبي محلة الحيدر خانة وهذا الحد الجنوبي لمحلة نهر المعلى ونتيجة لذلك تكون دار الخلافة التي هي وزارة الدفاع حالياً من نهر المعلى ) .

أقول : إن في كلام الدكتور الراوي أكثر من موضع للنظر لاسيما في تعيينه لمحلة نهر مُعلى ومحلة المأمونية ونحن ـ هنا ـ نسوق ماحضرنا من أدلة لبيان ذلك .

قال الخطيب البغدادي في ( تاريخ بغداد ) : « حدثني ابو الحسين هلال بن المُحسِّن قال : كانت دار الخلافة التي على شاطىء دجلة تحت نهر معلى قديماً للحسن بن سهل » . . الخ .

فمن هذا النص نفهم أن دار الخلافة تحت نهر معلى وهي إنْ عُدّت منه كما في نص ( ياقوت ) وغيره فيحسبان أنها الحد

الجنوبي منه وقد عيّن ابن عبدالحق البغدادي في ( مراصد الاطلاع ) محلة نهر المعلىٰ بقوله « هي من عقد الحديد الى عقدي مصطنع في الشارع الأعظم ومن الريحانيين وباب النوبي الى باب جامع القصر الى العقدين وفيه السوق والدكاكين »[11] ومن محال ( نهر معلّ ) ( محلة فراشة ) ويعرف بدرب فراشة قال ياقوت ( وببغداد محلة في نهر مُعلىٰ يقال لها درب فراشة وقد نقل الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في ( دليل خارطة بغداد ) عن كتاب فيليكس جونس ـ اسماء محال بغداد سنة ١٨٤٦م ـ ومن ضمنها محلة الفراشة وذكر عقودها ومن جملتها ( عقد المنارة المكطومة ) وهي اليوم علىٰ مايدل عليه التحقيق الخططي ( محلة الدشتي والامام طه ) . وهي مجاورة لدرب الخبازين المعروف اليوم بمحلة العاقولية لوجود مدرسة الشيخ العاقولي من مدرسي المستنصرية ومازالت قائمة بعنوان مسجد جامع وفيها قبره . ومما يحدد معالم محلة نهر المعلىٰ قول عبدالحميد بن أبي الحديد المدائني البغدادي في وصف المدرسة المستنصرية .

مخيّمة على نهر المُعلىٰ فدجلة لا المنيفةِ فالغمارِ

والمدرسة المستنصرية مازالت قائمة الى اليوم ومحلها معروف ولنرجع الى كلام الكاتب الفاضل فقد ذكر أن نهر معلىٰ يدخل البلد عند باب سوق الثلاثاء وقد حدد مكانه بالباب الرئيس لوزارة الدفاع الحالية وأن محلة نهر المعلى تنتهي عند شرقي او جنوبي جامع القصر . . . الخ . فاذا كان جامع القصر هو ( الجامع الاحمدي ) علىٰ تقديره فيكون عقد المصطنع إلى الشرق منه وهو الحد الجنوبي من نهر المعلىٰ فكيف يكون أمتداد نهر المعلىٰ الى جنوبي محلة الحيدر خانة الحالية ونصوصه السابقة غير دالة عليه ؟ نعم يكون أمتداد محلة نهر المعلىٰ ـ حينئذ ـ من جنوب باب المعظم الحالي او قل من الباب الرئيس لوزارة الدفاع الحالية الى محلة رأس الكنيسة وجامع علي أفندي المجدّد وما أحسب ان محلة نهر معلىٰ محلة صغيرة لاتستحق تلك الاوصاف التي أطنب الخططيون القدماء في اضفاءها عليها من جهة السعة وكثرة المحال ! وقال ايضاً « وبناء علىٰ ذلك ـ أي على ما ذكره سابقاً ـ تكون محلة نهر المعلىٰ هي المنطقة الشمالية الغربية من بغداد المسورة في الجانب الشرقي وهي تمثل المحلات المعروفة وقتئذٍ مثل قراح ظفر والظفرية ومقبرة الوردية ( أي مقبرة الشيخ عمر ) ومقبرة باب أبرز وخرابة ابن جردة وقطيعة موشجير وسوق الثلاثاء ودار الخلافة وحريمها وسوق الريحانيين وسوق عبدون والاسواق الأخرى المجاورة لهذين السوقين واللوزية والمقتدية ودرب النهر ودرب القيار وقراح ابن رزين ومحلة المختارة ومحلة الجعفرية وغيرها من المحلات فأنظر أين هذا القول من ذاك ! وأين الوردية ( مقبرة الشيخ عمر الحالية ) من باب السلطان ؟! هل تستفاد هذه النتيجة من مقدماته في صدر كلامه !!

هذا ولنا كلام حول هذا الدليل نُرجئه إلىٰ موضع آخر من هذه المقالة .

وقال في الرد علىٰ ماذهب اليه الدكتور مصطفى جواد من كون المدرسة النظامية كانت تقع شماليّ دار الخلافة وأنها في غير المكان الذي حدده الجواد « يقول الدكتور مصطفى جواد إن دار الخلافة كانت تقع جنوبي المدرسة النظامية وهذا التعيين لموقع دار الخلافة وموقع المدرسة النظامية يخالف ماذكره ابن الجوزي عن موقع المدرسة النظامية التي بنيت على قسم من دار الأمير مؤنس المظفر حسب قول الدكتور جواد ثم ( قال ) إن الدكتور مصطفى جواد يرىٰ ان دار مؤنس المظفر هذه ( كانت واسعة تمتد من مشرعة الابريين المجاورة لدار الخلافة من الشمال الغربي إلى مشرعة الصباغين التي كانت في الموضع المجاور لرأس الجسر الحالي المعروف بالعتيق أي ان دار مؤنس المظفر هذه كانت تقع على دجلة بين شريعة شارع السموأل الحالي وبين جسر الشهداء الحالي من ناحية الشمال . . . الخ .

( قال ) وهذا التعيين لموقع دار الأمير مؤنس المظفر ولموقع المدرسة النظامية غير صحيح للاسباب التالية :ـ

أ ـ قال ابن الجوزي ( في ٢٦ جمادىٰ الاولىٰ سنة ٣٨٣ هـ فرغ من الجسر الذي عمله بهاء الدولة في مشرعة القطانين وبحضرة دار الأمير مؤنس ) .

وقد عيّن الدكتور موقع مشرعة القطانين هذه فقال ( إنّ مشرعة القطانين توافق اليوم شريعة الايلجي بالجانب الغربي والتي تقابلها شريعة المحاكم في شارع المتنبي ) .

لذا يظهر لنا أن دار مؤنس المظفّر كانت تقع في شارع المتنبي الحالي وليس كما عين موقعها الدكتور جواد بين جسر الشهداء الحالي وشريعة السموأل الحالية وبناءً على ذلك تكون المدرسة النظامية التي بنيت على قسم من دار الأمير مؤنس في شارع المتنبي الحالي وليس في سوق الخفافين كما عين موقعها الدكتور جواد خطأ .

أقول إنَّ تعيين الخطط القديمة شيء تقريبي وليس على وجه الضبط والدقة لبعد الشقة الزمنية وتغير المعالم الأثرية ويستثنى من ذلك الآثار القائمة المقطوع بنسبتها الصحيحة وتواتر الاشارة اليها في اماكنها التي مازالت قائمة فيها على ألسنة المؤرخين ومن هذا المنطلق ( على حد تعبير الدكتور الراوي ) نقول : إن المسافة بين شارع المتنبي وسوق الخفافين المجاور للمدرسة المستنصرية من جهة الجنوب قليلة جداً واذا حصرت دار مؤنس بين هذين الحدَّين مع طول الحقبة الزمنية بيننا وبينها فهذا يُعد تعييناً إجمالياً لموضعها ولا يُرفع هذا الاجمال إلاّ بدليل قطعي وكان على الدكتور الراوي ان يناقش ( الجواد ) في تعيينه لشرعة القطانين القديمة بشريعة بيت الايلجي ( الحديثة ) ويطالبه بالدليل لا أن يجعله أصلاً مسلماً يستند اليه في مناقشة الدكتور الجواد نفسه .

هذا من جهة ومن جهة اخرى أذكّر الاستاذ الراوي ان المتقدمين كانوا يتساهلون في إطلاق بعض التسميات على مسمياتها على جهة الاتساع ومن ذلك كلمة ( الدار ) فربما إطلقت وأُريد بها محلة كاملة كما في قولهم ( دار ابن جردة ) قال ابن الجوزي في فيضان سنة ( ٤٦٦هـ ) ( . . . ووقعت آدر بباب المراتب ، منها دار ابن جردة وكانت تشتمل على ثلاثين داراً وعلى بستان وحمام يساوي عشرات الوف )[١٢] وأذكر أني قرأت في أحد المصادر ولا يحضرني الآن أسمه أنه كان لهذه الدار بابان عليهما مؤذنان اذا أذّن أحدهما لايسمعه الآخر ومن ذلك ( دار الفيل ) بباب الازج وهي مقبرة واسعة سيأتي ذكرها تفصيلاً و ( دار القطن ) ببغداد وهي التي ذكر الجاحظ أنها أكثر الدور غَلّه وهي محلة معروفة ينسب إليها الدارقطني المحدّث المشهور . . . . »

فإنْ صح تعيين الدكتور مصطفى جواد لموقع مشرعة القطانين وما يقابلها من الجانب الشرقي بشريعة بيت الايلجي في الجانب الغربي وشارع المتنبي في الجانب الشرقي فيكون الجسر المعقود بينهما في قسم من دار مؤنس والمدرسة النظامية في قسم آخر من أرضها .

وقد ذكر الدكتور الراوي نفسه في اعتراضه التالي الذي سنورده أن حظائر الحطب مجاورة للنظامية وقريبة منها . والحظائر هي المحلة التي بنيت فيها المدرسة النظامية والتي تقع جنوبي المدرسة المستنصرية . كما يرى الدكتور مصطفى جواد ومن يرى رأيه .

(ب) والاعتراض الثاني ماذكره عن ابن الجوزي في حوادث ٥١٠هـ قال ناقلاً عن ( المنتظم ) « وقعت النار في حظائر الحطب ودكاكينه التي على دجلة وأكلت النار الأعواد الكبار وجذوع النخل وتطاير النار الى دروب باب المراتب فاحرق كنائسها وأحترقت الدور التي بدرب السلسلة والدور الشارعة على دجلة من جملتها دار نور الهدى الزينبي ورباط بهروز الذي بناه للصوفية ودار الكتب التي بالنظامية . . . ) .

قال الراوي معلقاً : يتضح لنا من هذا الخبر أنَّ الحريق الذي شب في حظائر الحطب أنتقل إلى المواقع المجاورة له والقريبة من حظائر الحطب وهي دروب باب المراتب ودور درب السلسلة والدور الشارعة على دجلة ورباط بهروز ودار الكتب التي بالنظامية ( قال ) فلو أخذنا برأي الدكتور جواد القائل بأن حظائر الحطب كانت في موقع سوق الكمرك الحالي وخان جغان الذي حول إلى أسواق فيكون موضع الحريق هو سوق الكمرك وخان جغان ، وقد أنتقل الى المحلات المجاورة وهي درب السلسلة . . ورباط بهروز وموقعه حسبما يرى الدكتور جواد في محل قهوة الشط في نهاية شارع السموأل الحالي ودار الكتب التي بالنظامية الواقعة في ارض سوق الخفافين هذه الاماكن تلها أو اغلبها في منطقة واحدة ومتجاورة .

( قال ) ولكن الخبر الذي أورده ابن الجوزي عن هذا الحريق ذكر فيه أنتقال الحريق الى الدور الشارعة على دجلة ومنها دار نور الهدى الزينبي ، فأين كانت هذه الدار ( قال ) ثم ذكر ان الحريق أنتقل ألى باب المراتب ودورها وأحرق كنائسها فأين كانت تقع باب المراتب هذه هل هي مجاورة لحظائر الحطب أم بعيدة عنه ( كذا ) ؟

إن الدكتور جواد يرى أنَّ محلة باب المراتب هذه تقع في شريعة المربعة الحالية أو نحوها . . . فإذا كان الحريق الذي شب في حظائر الحطب التي كانت تقع في سوق الكمرك وخان جغان قد أنتقل الى المحلات المجاورة له أمراً مقبولاً ولكنه[١٣] من غير المعقول والمقبول أن ينتقل الحريق من سوق الكمرك وخان جغان إلى محلة المربعة التي هي محلة المراتب حسبما يرى الدكتور جواد . . . الخ .

أقول : إنَّ عمدة ما أستشكله الراوي هنا هو أنتقال النار من حظائر الحطب التي هي اليوم سوق الخفافين وما جاوزه إلى محلة المراتب التي هي محلة المربعة الحالية على رأي الدكتور مصطفى جواد ومن تبع رأيه .

وأنا ناقل إلى الدكتور الراوي مايزيل الاشكال إن شاء الله تعالى وذلك بتقديم كلام على اصطلاح ( الدور الشارعة ) .

فالدور الشارعة هي التي تكون نازلة الى شاطىء النهر قريبة من الماء ولذلك ورد في هذا النص الدور التي بدرب السلسلة والدور الشارعة فدل على ان هذه غير تلك وكلها على شاطىء دجلة من غير شك .

وإليك هذا النص الصريح الذي ينقله إلينا رجل فاضل من اهل القرن الخامس الهجري وأوائل السادس هو ابن عقيل الحنبلي قال بعد كلام « . . . . ونظير هذا من الجانب الغربي الكرخ وشاطئه : قصور منتظمة ذوات دواليب وبساتين ورواشن متقابلة وبين يدي ذلك دار خيطية مشذّبة لرب الدار مُسرَجة بالحلية المليحة والرجاشات العجيبة والبط يتلاعب في مشرعة الدار الشاطئية ولربما اختلط أصوات أغانيها برنيم دواليبها ، ونقيق بطّها وضجة غلمانها وخدمها ، ودجلة تنسل بين شاطىء قصورها الشاطئية . ولقد نزلت كثيراً في سميرية منحدراً فما أزال أسمع هذه الأنغام من مشرعة الجسر بباب الطاق إلىٰ باب المراتب .

( قال ابن عقيل ) « وكان لدور الشط أبواب إلىٰ شوارعها وعلى كل باب مراكب مسرجة مهيأة لركوب الظهر كما بين أيدي رواشنها خيطية أو زبزب لركوب الشط . . . » .

فالذي ينعم النظر في هذا النص لايبقىٰ لديه أدنىٰ شك في إمكان انتقال النار من حظائر الحطب ودكاكينه وهي علىٰ شاطىء دجلة الى الدور الشارعة عليها ثم سريان النار الى مايليها وهكذا وقد مر عليك ما ذكره ابن عقيل من آتصال هذه الدور الى باب المراتب وإذا آستقرينا النص مرة اخرى فإنا نجد التعبير عن انتقال النار الى دروب باب المراتب بـ ( تطاير ) دون غيرها من الأماكن وهذا يدل على البعد وعلى انتقال النار من الأماكن الوطيئة الى العالية .

ومن طالع ( أخبار الحرائق ) في كتب المؤرخين تأخذه الحيرة ويستبد به العجب وربما آستبعدها ونسب الرواة الى المبالغة والتزيد فيها فمن ذلك ماذكره ابن الجوزي في ( المنتظم ) في الحريق الذي وقع سنة ٤٤٩هـ في الجانب الغربي وفيه ( أحترقت قطيعة عيسىٰ وسوق الطعام والكبش وأصحاب السقط وباب الشعير وسوق العطارين وسوق العروس وسوق الأقماط وسوق الخشابين وسوق الجزارين وسوق النجارين والصف والقطيعة وباب محوّل ونهر الدجاج وسويقة غالب وسوق الصفارين والصباغين )[١١] .

ومن ذلك حريق محلة الحلبة ( باب الشيخ ) سنة ٤٨٠هـ وقد ذكره ابن الجوزي « فأصاب من تلك النار سطوح الناس والحريم كله حتى كأنَّ في كل سطح شموعاً فخرج الناس لاطفائه ، فما قدر أحد أن يقاربه من خمسمائة ذراع إلى أن آنتهى الحطب فخمدت النار »[١٢] .

ومما ساقه الدكتور الراوي من الأدلة على نصرة رأيه هو تعيين ( الرقة ) التي كانت تقع مقابل دار الخلافة من الضفة الغربية وذلك بعد أن مهد للموضوع بكلام على معنى ( الرقة ) ثم أسّسَ علىٰ ذلك وجوب أن تكون دار الخلافة في غير المكان الذي ذهب إلىٰ تعيينه( ؟ ) مصطفى جواد بشارع المستنصر معتمداً علىٰ أنه لم يكن في الجهة التي عينها الجواد ( رقة ) . . . .

أقول : نحن مع الدليل إن كان مع مصطفى جواد أو غيره فان كان رحمه الله قد عين الرقة في ( باب السيف ) والشواكة والكريمات فقد عين غيرها علىٰ غير مايوجبه كلام المؤرخين والبلدانيين فمن ذلك تعيينهُ لتربة الشيخ أبي المجامع إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن علي الحموئي الجويني الشافعي المتوفىٰ سنة٧٢٣هـ صاحب كتاب ( فرائد السمْطين ) الملقب بصدر الدين فقد ذهب رحمه الله ألى انها في محلة الزرّادين ـ الصدرية الحالية ـ من باب الازج وأنه صاحب القبر المعروف بقبر صدر الدين وإليه نسبت ( المحلة ) في حين ان الحافظ الذهبي من تلامذته والمحيطين بأحواله نص علىٰ أنه توفي بخراسان كما في ( المعجم الصغير ) ونص علىٰ ذلك ( الأسنوي ) في ( طبقات الشافعية ) والصواب ان القبر المذكور هو قبر صدرالدين محمد . . . ابن شيخ الاسلام المروي قاضي القضاة ومدرس ( البشيرية ) و ( الأصحاب ) وخلفه في تدريس البشيرية عبدالله آبن العاقولي ( المنسوبة اليه محلة العاقولية اليوم ) سنة ٦٨٥هـ .

ولنا في توجيه ماذكره المؤرخون من اشارات الى موقع الرقة وجه غير الذي ذهب اليه الدكتور الراوي في استبعاد أن تكون الرقة مقابل دار الخلافة التي عينها الجواد بشارع المستنصر وهو ما نستفيده من كلام الدكتور الراوي نفسه فقد قال « وان وجدت ـ اي الرقة ـ فانها ليست مقابل باب الغربة بل تكون مقابل منتصف شارع المستنصر ألىٰ جسر الجمهورية » وهذا كاف

في ان يصدق عليها القول بأنها مقابل دار الخلافة ولا يقدح في صحة العبارة امتداد الرقة الى الجنوب لمسافة غير بعيدة .

أما ماذهب اليه الاستاذ الراوي من أنها تقع مقابل باب الغربة معتمداً نصاً نقله عن آبن الجوزي وبالتالي ردّ على مصطفى جواد بكون المنطقة المقابلة لباب الغربة - في تعيين الجواد - ليس فيها رقة فليس بقوي واليك ماقاله ليتضح المراد قال « إنّ الرقة المذكورة هي التي ذكرها ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٦هـ حيث قال « وضرب الخليفة سرادقه عند رقة ابن دحروج ونصب هناك الجسر . . الخ ثم قال فصلى المسترشد يوم الجمعة رابع وعشرين ذي الحجة ونزل راكباً من باب الغربة مما يلي المثمنة وعبر بالزبزب . . . فنزل المخيم واقام به . . . )

( قال الراوي ) يستفاد من هذا الخبر أن باب الغربة من دار الخلافة يقابلها ( كذا ) بالجانب الغربي الرقة هذه ولو أخذنا بنظر الاعتبار رأي الدكتور جواد القائل بأن باب الغربة كان عند شريعة السموأل الحالي ففي هذه الحالة يكون مقابلها محلة القرية الغربية أي باب السيف حالياً بينما عين موقع الرقة المذكورة جنوبي هذه المحلة أي في محلة الكريمات وما حولها لذا كان من المفروض على آبن الجوزي ان يقول إنّ الخليفة ركب الزبزب من باب الغربة وآنحدر فيه الى الرقة ونزل بالمخيّم . . . الخ بدلاً من قوله عبر بالزبزب لأن معنى عبر يعني عبر الشط الى مقابل الموضع الذي ركب فيه الزبزب أما معنى آنحدر فانها تعني أنه توجه جنوباً مع تيار الماء .

قلت : إنّ منشأ ذهاب الاستاذ الراوي الى ان الرقّة كانت تقع مقابل باب الغربة هو ماآستفاده من لفظة ( عبر ) الواردة في كلام ابن الجوزي المذكور آنفاً ، وإذا سبرنا الغور في معنى هذه الكلمة فإنا واجدون انها تعني مطلق العبور من جانب إلى آخر مع دلالتها على جهة الاولوية على ماذكره الكاتب الفاضل فلا يكون هذا حجةً على المناظر ثم إنّ التعبير بلفظة ( انحدر ) قد ينشأ منه ( التباس ) يؤدي إلى غير المقصود فقد يقال ( انحدر الرجل في زورقه إلى منطقة كذا ) يعني إلى أسفل منها من الجهة نفسها وهذا مأمون في لفظة ( عبر ) الدالة على الانتقال من جانب الى آخر ، ثم إنّ العبور من ( باب الغربة ) إلى الجهة التي هي الآن مقابل منتصف شارع المستنصر وهي التي مازالت فيها ( رقة ) قد يصح عدم تسميته ( انحداراً ) لقصر المسافة .

ومما يتصل بالرقة وبالتالي بتعيين موقع دار الخلافة ما نقله عن ابن الجوزي في حوادث سنة ( ٥٥٢هـ ) حيث قال ناقلاً عن ابن الجوزي « نزل محمد شاه بالرملة وقطع الجسر وجيء به الى تحت التاج ثم وقف عسكر محمد شاه عند الرقة ورموا بالنشاب إلى ناحية التاج وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى وآنتشروا من الرملة إلى تحت الرقة . . . ) .

وقد عقب الاستاذ الراوي على هذا ( النص ) بقوله : يُستفاد من هذا الخبر أن الرقة كانت تقع بين قصر عيسى وقمرية ولما كانت قمرية هي موضع مسجد قمرية فيما بعد والموجود لهذا اليوم فالرقة إذن هي الأرض التي تقع شمالي مسجد قُمرية تمتد حتى قصر عيسى الذي هو موقع جامع خضر الياس وما حواليه في الوقت الحاضر . . . الخ .

أقول : من أين آستفاد الاستاذ أنّ الرقة كانت تقع بين قصر عيسى وقمرية اني أعرض النص السابق على اهل الاختصاص في الخطط ليروا هل في قول ابن الجوزي ( وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى ) بضميمة ماتقدم من ذكر ( الرقة ) مايستفاد منه أن الرقة بين المكانين المذكورين ؟!

ويلاحظ في تعبير ( ابن الجوزي ) ( تحت قمرية وقصر عيسى ) ان القتال كان جنوبي ذينك المكانين ولا شك أنّ التعبير بـ ( تحت قمرية ) يفيد آمتداد القتال إلى مكان يبعد كثيراً عما عينه الدكتور الراوي من تحديد موقع دار الخلافة ليقترب من دار الخلافة كما عينه الجواد وغيره هذا على منطق الدكتور الراوي من ذهابه الى ضرورة حصر القتال في مكان معين دون تسريته الى أماكن اخرى بحسب مقتضيات الموقف ومستلزمات القتال أما قول ابن الجوزي : « ثم وقف عسكر محمد شاه عند الرقة ورموا بالنشاب الى ناحية التاج وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى ) فلا يستفاد منه كون الرقة ( حيث عسكر محمد شاه ) هي المحل الوحيد للقتال ويظهر ان القتال كان ممتداً على طول الجانب الغربي لدجلة مما يقابل سور المستظهر من الجهة الشرقية فهو حصار ( لعاصمة الدولة ) و ( دار الخلافة ) في آن واحد .

وهناك تفريعات للاستاذ الراوي على هذا الخبر لانطيل بذكرها لرجوعها الى ( الأصل ) الاحتمالي .

ومما ذكره ( الراوي ) « أن محمد شاه نزل بالرملة وهي التي تقابل في الوقت الحاضر محلة الجعيفر حسب رأي الدكتور مصطفى جواد ونزل عسكره في الرقة التي تقابل اليوم محلة الكريمات كما يرى الدكتور جواد آي على بعد يزيد على الكيلو

مترين ( كذا ) من موضع العسكر فهل من المعقول ان ينزل قائد العسكر بعيداً عن العسكر ؟ . . . . الخ .

وارجع هنا أن أعيد عليك نص ابن الجوزي قال « نزل محمد شاه بالرملة وقطع الجسر وجيء به الى تحت التاج ثم وقف عسكر محمد شاه عند الرقة » . ان هذا التعبير لايستفاد منه نزول محمد شاه وحده بل يعني في جملة مايعنيه ـ نزوله هو وأتباعه أو جملة من اتباعه وهذا شائع في كلام العرب وفي كتب التاريخ والسير .

فمن المألوف ان نقرأ نزل خالد بن الوليد في المكان الفلاني ونزل عدوه في المكان العلاّني وهكذانسمع : نزل هولاكو ونزل تيمور لنك ونزل اسماعيل الصفوي ونزل سليمان القانوني . . . . الخ هل يفهم منه الا نزولهم بجملة عساكرهم ؟

ويقوّي هذا الوجه ما أردفه ابن الجوزي من قوله : « ثم وقف عسكر محمد شاه عند الرقة ) بـ أداة العطف ( ثم ) التي تفيد العطف والتراخي أي أنّ نزول محمد شاه كان اولاً بالرملة وبعد قطع الجسر والمجيء به الى تحت التاج وقف العسكر المذكور او جملة منه عند الرقة . وغير ممتنع ان يكون محمد شاه نزل في الرملة مع جماعة من جنده وذهب قسم من عسكره الى الرقة بقيادة من يعتمد عليه في مثل هذه المواقف فيكون قواده ممثليه في إدارة العسكر ومما أورده الدكتور الراوي من متممات إيراداته على الجواد من نص ابن الجوزي المذكور قوله : ان عسكر محمد شاه قد أنتشروا من الرملة الى تحت الرقة أي من محلة الجعيفر حتى جامع قمرية أو جنوبيه ( ثانوية الكرخ ) وهذا شيء معقول . . . اما لو اخذنا برأي الدكتور مصطفى جواد القائل بأن الرقة كانت تقع في محلة الكريمات الحالية ففي هذه الحالة إنّ العسكر كان ( كذا ) قد أنتشر على مسافة كيلومترين ( كذا ) . . . فهل من المعقول انْ ينتشر العسكر على طول هذه المسافة ؟ » .

قلت نعم من المعقول ذلك بل له من التاريخ اكثر من شاهد وهل أتاك ان تيمورلنك عندما حاصر بغداد أيام السلطان احمد بن أويس بن حسن الجلائري احاط بها جيشه من جميع جهاتها من باب كلواذى جنوباً الى باب السلطان شمالاً هذا عدا من أحاط منهم بمناطق أخرى من بغداد الغربية ومحال الرصافة وباب المخرّم من الجهة الشرقية ومن قرأ أخبار الحروب والملاحم لايستغرب ذلك .

ومما ذكره مما يتصل بهذا الباب قوله ناقلاً عن ابن الجوزي « بعثوا ابن الخجندي فوقف عند قمرية وقال ابعثوا الينا يوسف الدمشقي . . . »

( قال الراوي ) : أي انّ عسكر محمد شاه ارسلوا ابن الخجندي ليكلم من كان بدار الخلافة فوقف عند قمرية وقال ابعثوا الينا يوسف الدمشقي . . . الخ .

قلت هذا الاستنباط في غير موقعه فقد كان كل ما احاط به سور المستظهر الكبير من الحريم وهو الحريم الاكبر والحريم الأخر هو حريم دار الخلافة وليس بشرط أن يقف ابن الخجندي مقابل دار الخلافة ليكلم من فيها بشأن إرسال يوسف الدمشقي بل يكفي أن يقابل من ضمه السور الكبير ( سور المستظهر ) وهو في تلك الحالة في الدرجة القصوى من الاستعداد والتحشد على الجهة المقابلة له من دجلة من الجانب الغربي فيكون قد خاطب الجهة الثانية على النحو الذي يمكن ان يتجه به معنى الخبر ( أعني في إمكان إيصال الصوت من الجانب الغربي من دجلة الى الجانب الشرقي منها ؟ )

ويوسف الدمشقي المذكور كان مقيماً في المدرسة النقتية بباب الأزج ( محلة الشيخ عبدالقادر حالياً ) على شاطىء دجلة وكان شيخها وستأتي الأشارة إليه في أخبار المدرسة المذكورة .

ومما يعضد ماقرّرناه أن ابن الجوزي قال : ( فوقف عند قمرية وقال ابعثوا . . الخ ) ولم يقل : مقابل دار الخلافة والنص عليها هنا ضروري فإذْ لانصّ فلا دليل .

ومما نقله عن ابن الجوزي « ان بعض عسكر محمد شاه كان قد عبر الى الجانب الشرقي من عند الزاهر ليدخلوا دار السلطان وجرى القتال عند عقد السلطان ودار العميد كما قال ( يعني ابن الجوزي ) « انّ عسكر محمد شاه جاء الى السور معهم السلاليم والمعاول والزبل لسد الخندق وجرى القتال في عقد الظفرية وعقد سوق السلطان . . . » قال ( الدكتور الراوي ) بعد نقل الخبرين المذكورين : يدل فحوى هذين الخبرين ان بعض عسكر محمد شاه قد عبروا إلى الجانب الشرقي من بغداد من عند الزاهر ( موقع البلاط الملكي ) أي الكسرة الحالية ليدخلوا دار السلطان أي دار السلطان محمد شاه التي كانت تقع في محلة المخرّم ( العيلوازية الحالية ) فدخلوا تلك الدار ومن ثم توجهوا نحو سور بغداد ومعهم المعاول والزبل لأجل ردم الخندق الذي يلي

السور وهو السور الواقع جنوبي محلة المخرم والذي يحيط ببغداد الجانب الشرقي منها فجرى القتال بين عسكر الخليفة وعسكر السلطان عند عقد الظفرية أي باب الظفرية ( الوسطاني ) وعند عقد السلطان اي عقد سوق السلطان قرب باب المعظم الحالي وذلك بقصد التوجه الى دار الخلافة القريبة من السور لاحتلالها ( قال ) ولو كانت دار الخلافة في شارع المستنصر كما يرى الدكتور جواد لما كلف عسكر محمد شاه نفسه بالعبور من عند الزاهر ( الكسرة ) والتوجه الى سور بغداد من الجهة الشمالية لبغداد المقابلة عند باب الظفرية ( الوسطاني ) وعند باب السلطان ( باب المعظم ) لأنَّ هذين الموقعين يبعدان كثيراً عن شارع المستنصر ( دار الخلافة ) بل كان من المفروض ان يعبر العسكر من مكان قريب من شارع المستنصر ( دار الخلافة ) مثلاً من عند باب الغَرْبة ( شريعة السموأل خاصّة وان العسكر المذكور كان قد نقل الجسر من محله ووضعه تحت التاج فكان بامكانه نقله إلى باب الغربة ( شريعة شارع السموأل ) والعبور من هناك بدل أن يكلف نفسه بالعبور من الزاهر ثم يجري القتال عند سور حريم دار الخلافة عند باب الغربة بدلاً من القتال عند باب الظفرية وباب السلطان .

من ذلك يتبين لنا ان دار الخلافة لم تكن في شارع المستنصر الحالي بل كانت في موقع وزارة الدفاع حالياً ، انتهى كلامه بنصه .

وهذا الكلام لايساعد في تعيين دار الخلافة اذ غاية مافي الباب ان بعض عسكر السلطان محمد شاه عبروا الى الجانب الشرقي من عند الزاهر ليدخلوا دار السلطان محمد شاه وكانت في المخرّم ( العيواضية ) فالعبور كان لدخول دار السلطان وآحتلالها كما تفيده ( لام التعليل ) وذلك لتمتين الجبهة ووضع قاعدة آنطلاق للاجهاز على المدينة الكبيرة وللخطط العسكرية اسرار ويستنبطها إلاّ الخبير الخبير ، ففي مواجهة أخبار حملة هولاكو أجمع المؤرخون لتلك الفاجعة التي حلت ببغداد ( دار الخلافة ومدينة السلام ) .

آنَّ هولاكو الطاغية انحنى قسماً من منجنيقاته على البرج الكبير الواقع في الجهة الغربية الجنوبية من سور بغداد قرب باب آلحلْبة ( باب الطلسم ) لضعفه فهدمه ودخل منه وموقعه اليوم قرب المرقد المنسوب إلى أبي حامد الغزالي[١٦] .

وكان على عسكر هولاكو ان يتجهوا الى السور من جهة باب السلطان لأنه مجاور لدار الخلافة على رأي الدكتور الراوي ويضاعفوا القوة ويأتوا معهم « بالسلالم والمعاول والزبل لسد الخندق » ليتم لهم العبور الى دار الخلافة القريبة من الباب !!

ومما ذكره الدكتور الراوي من أدلته مانقله من أخبار الحرائق عن ابن الجوزي حيث قال « في حوادث سنة ٥٦٨هـ « وقع حريق من باب درب بهرز إلى باب جامع القصر .

ونقل عنه أيضاً في حوادث سنة ٥٧٠ هـ ( نقب قيماز حائطاً من داره إلى درب بهروز وهرب منها ) وكان قد نقل عن ابن الجوزي قوله في حوادث سنة ٥٦٧هـ « فتح قيماز باباً من داره التي بدار الخليفة الى السوق مما يلي الأساكفة ونصب عليها باباً » .

ثم قال : يظهر من الأخبار أعلاه ان جامع القصر ودار الأمير قيماز ودرب بهروز كلها تقع في منطقة واحدة ومتقاربة وإلا لما انتقل الحريق من عند باب درب بهروز الى باب جامع القصر . . ثم ذكر كلاماً استخلص منه ان موقع دار الخلافة هو موقع وزارة الدفاع الحالية ولا يخفى ان هذا من الأدلة الاحتمالية الظنية فللذاهب الى أن دار الخلافة كانت في موضع شارع المستنصر الحالي ان يذكر ان عبارة ( باب درب بهروز ) فيها أكثر من دلالة لأنها تعني بدلالة التضمين أن هذا الدرب ممتد بعض الامتداد بل لا يبعد ان يكون فيه من الطول ماسوّغ ان يعبر عن اوله بـ « باب درب بهروز ) ومن الدروب مايكون ممتداً بين اكثر من محلة ومحلة هذا على فرض أن درب بهروز منسوب الى رباط بهروز وليس في النص الذي ذكره ابن الجوزي مايدل عليه سوى الاستظهار بقي علينا ان نقف عند عبارة ابن الجوزي التي نقلها الدكتور الراوي « فتح قيماز باباً من داره التي بدار الخليفة » فدار قيماز إذاً كانت في ضمن سور دار الخلافة وقد ذكر المؤرخون أنَّ بين قصور الخليفة وبين السور ذي الأبواب التسعة المسمى بسور دار الخلافة سوراً آخر يفصل بين دور الرعية الواقع في حريم دار الخلافة وبين قصور الخليفة وفي هذا السور عدة ابواب منها باب عليان وباب الدوامات وباب الحرم كما نص على ذلك ياقوت الحموي »[١٧] وقد سكن في هذه الأماكن جماعة من الأعيان والمحدثين منهم محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالوهاب السيبي الراوي عن الشريف ابي المظفر محمد بن أحمد الخطيب

المعروف بابن التريكي الهاشمي العباسي قال الحافظ ابو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي في (ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » كان يسكن بدار الخلافة المعظمة قريباً من باب عُليان »[18] .

ومنهم : محمد بن عبدالباقي بن احمد المعروف بأبن البطي الشيخ المحدّث المسند المعمرُ المكنى بأبي الفتح قال ابن الدبيثي « من ساكني دار الخلافة المعظمة ـ شيد الله قواعدها بالعز ـ بمحلة الصاغة »[19] وقال ابن الدبيثي في ترجمة الوزير محمد بن عبدالله ابن هبة الله أبي الفرج المعروف بأبن المسلمة « ثم ركب الى داره بالقصر من دار الخلافة المعظمة والناس معه »[20] .

فالخبر المنقول عن ابن الجوزي لايعني اكثر من كون جامع القصر ودار قيماز وباب درب بهروز متقاربة وأنها في ضمن سور دار الخلافة وليس فيه مايدل على ان باب درب بهروز يعني احد الرباطين المنسوبين إليه وهذا يبطل الاحتجاج بهذا الدليل لطروق الاحتمال عليه .

ومما ذكره الكاتب الفاضل ناقلاً عن ابن الجوزي في حوادث سنة ( ٣٩٤هـ ) ( كذا ) « وقع حريق في خرابة ابن جردة فهلك معظمها فطارت شرارة فأحرقت داراً برحبة الجامع وأخرى أحرقت ستارة الوزير بباب العامة » قلت الصواب أن الحريق المذكور كان في سنة ( ٤٩٣هـ ) لاتي سنة ( ٣٩٤هـ ) وربما كان هذا الغلط من سهو الطابع أو زيغ القلم . ثم نقل خبراً آخر في حوادث سنة ( ٥٠١ هـ ) هـ عن ابن الجوزي أيضاً « وقع حريق في خرابة ابن جردة . . . تلف كثير من الأموال وهلك كثير من الناس وقد تخلص قوم بنقوب نقبوها في سور المحلة وخرجوا الى مقابر باب ابرز » .

ثم قال معلقاً : يظهر لنا من هذين الخبرين ان خرابة ابن جردة كانت تقع قريباً من حريم دار الخلافة بباب العامة بحيث أنّ شرارة من الحريق الذي شب فيها طارت الى حريم دار الخلافة بباب العامة فأحرقت داراً برحبة الجامع وأخرى أحرقت ستارة الوزير بباب العامة كما انها كانت تقع بجوار مقبرة باب أبرز بحيث أن بعض سكانها تخلصوا من الحريق الذي شب فيها سنة ٥٠١هـ بنقوب نقبوها في سور المحلة المذكورة فخرجوا الى مقابر باب أبرز وهذا يعني ان محلة خرابة ابن جردة كانت تقع بين سور حريم دار الخلافة وبين مقابر باب ابرز .

قلتُ : إنّ الذي ذكره ابن الجوزي في المنتظم انّ دار ابن جَرَدة أو خرابة ابن جردة كانت تقع في محلة باب المراتب حيث قال في حوادث سنة ٤٦٦ هـ ومنها الفيضان الكبير « ووقعت آدر كثيرة في باب المراتب منها دار ابن جَرَدة وكانت تشتمل على ثلاثين داراً » .

وباب المراتب يبعد مسافة غير قليلة عن باب العامة الذي يقع فيه جامع القصر ودار الوزير ( ابن جهير التغلبي ) قال ياقوت في ( المشترك وضعاً والمختلف صقعاً ) :ـ

( ثم يمتد السور من باب العامة نحو ميل لاباب فيه إلا باب بستان في آخر المأمونية تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا في الأعياد ثم باب المراتب )[21] .

وأنتقال النار من دار ابن جردة إلى رحبة الجامع ودار الوزير بباب العامة إنما كان بفعل الريح العاصف حيث اطارت شرارة ( فاصابت داراً برحبة الجامع وأخرى اصابت ستارة الوزير ) ولم يذكر السيد الراوي حين نقل عن ابن الجوزي خبر حريق هذه الدار قوله « وكانت الريح عاصفاً فاطارت . . . . . » وربما سها عن ذلك .

وهذا النص لايسند رأي الدكتور الراوي كما لايعضد رأي الدكتور مصطفى جواد ، فإنّ الراوي يذهب إلى أن محلة باب المراتب شمالي شارع المتنبي وفي موقع جديد حسن باشا والقشلة فكيف تكون دار ابن جردة مجاورة لمقابر باب أبرز وقد عينها في موقع محلة المزّة وقسم من السور الحالية ؟ ومن الغريب أن يذكر ابن الجوزي وقوع دار ابن جردة في محلة باب المراتب ويأتي الاستاذ الراوي ليقول إنها « واقعة في مواقع المحلات الحالية : خان لاوند والفضل وقسم من البارودية وتبة الكرد وقسم من الميدان » .

ومن الغريب ايضاً ماذهب اليه الدكتور مصطفى جواد ( رحمه الله ) حيث عين خرابة ابن جردة بين ( قنبر علي والجوبة )[22] .

أما أنتقال بعض أهل الدار المذكورة عندما شبت النار فيها إلى مقابر باب أبرز فربما كان لمرجّحات نجهلها وأمور متعلقة بطيب المكان وقلة القُطان ، فان النص لايفهم منه مجاورة الدار المذكورة لمقابر باب ابرز على جهة القطع والفيصل في هذا المقام ( النص ) حيث ذكر ابن الجوزي أن خرابة جردة من محلات باب المراتب وسنوافيك بكثير من النصوص التي تثبت صحة ماذهبنا

اليه في تضاعيف هذه المقالة .

ومن أدلته الاستنباطية مابناه على نص ذكره ابن جبير الرحالة في رحلته الشهيرة حيث قال « فأكبرها القريبة وهي التي نزلنا فيها ببعض من ارباضها يعرف بالمربعة على دجلة بمقربة من الجسر فحملته دجلة بمدها السيلي . . . الخ ) ثم قال : « والعادة ان يكون لها جسران احدهما مما يقرب من دور الخليفة والآخر فوقه ) .

ثم أطال الكلام على الجسور في تلك العصور وما أحسب ان الأمر يقتضي هذا الأسهاب وقد مرّ عليك مثل هذا فيما نقلناه من صدر مقالته عند كلامه على جسر مشرعة القطانين .

ونحن الآن نقول : إن الجسر الذي عناه ابن جبير لايبعد ان يكون هو الجسر الذي انشأته الجهة ( بنفشا بنت عبدالله ) حظية المستضيء وحيث ان الرقة « التي كان الخلاف في موقعها سبباً لاختلاف الرأي بين الراوي والجواد في تعيين دار الخلافة » غير محددة المعالم ولا معلومة الصُوى وانما هو الاجتهاد والاعتماد على ظواهر وجوه الترجيح من حيث نوع التربة وما يتصل بطبيعتها فلا مندوحة لنا من الذهاب الى القول بأمتداد هذه الرقة من منتصف شارع المستنصر الى قريب من جسر الجمهورية الحالي او فوقه فيكون الجسر قريباً من مدرستها الشاطئية التي اوقفتها على الحنابلة على نهر دجلة وسنذكر بعض احوالها في موضع آخر من هذه المقالة .

بعد هذا الجواب المختصر نورد مالاحظه الدكتور الراوي على رأي الدكتور مصطفى جواد ونتبعه بما يكون جواباً له .

قال الدكتور الراوي أما الدكتور جواد فإنه يرى أن الجسر الذي انشأته عام ٥٧٠هـ والذي أشار اليه ابن الجوزي في حوادث تلك السنة هو الجسر الذي يقرب من دار الخلافة لأنه ( أي الدكتور مصطفى جواد ) قال « انشأت السيدة بنفشا جسراً جديداً عقدته في مكان جسر باب القرية بينه وبين باب الغربة الذي هو الآن باب شارع السمرأل الحالي . . . » ثم عقب الراوي على هذا الكلام بقوله :

أن القول بأن الجسر الذي عملته بنفشا نصب بين باب القرية ( محلة باب السيف ) وبين باب الغربة ( شريعة السموأل ) غير وارد للاسباب التالية .

( أ ) ان الجسر الذي عملته بنفشا سنة ( ٥٧٠هـ ) كان قد نصب تحت الرقة بالجانب الغربي التي تقابل باب الغربة من دار الخلافة كما قال ابن الجوزي ) يحسب أنّ ابن الجوزي عينّ مكان الرقة مقابل باب الغربة ولم يكن شيء من ذلك وانما كان هذا اجتهاداً فهمه الدكتور الراوي من نص لابن الجوزي أشتمل على لفظة ( عبر ) وبها عين محل الرقة وقد تقدم الكلام على ذلك .

ب ـ قال الدكتور الراوي : لم يكن قد نصب خلال العصور العباسية أي جسر جنوبي جسر سوق الثلاثاء او جسر مشرعة القطانين . .

أقول هذا الإطلاق من موارد النزاع فيكون الاحتجاج به من باب المصادرة على المطلوب وكيف تم للدكتور الراوي أنتزاع معنى إرادة جسر مشرعة القطانين من كلام أبن جبير ؟ ولم يكن في القرائن الحافة بكلامه مايدل عليه بل جاء متلفعاً سرابيل الإبهام مسلوكاً فيه سبيل الإعمام فكان ذلك من أسباب الإبهام .

جـ ـ قال الدكتور الراوي : إنّ المؤرخين ذكروا ان الجسر المذكور نصب تحت الرقة وحسبما يرى الدكتور جواد أنّ الرقة كانت في محلة الكريمات الحالية وفي هذه الحال يكون الجسر منصوباً داخل دار الخلافة نفسها . . . الخ .

أقول : تقدم الكلام على ( الرقة ) وفيه الجواب عن هذا الاشكال ( ؟ )

د ـ قال الراوي : ان الرقة كما ثبت لدينا في اعلاه الفقرة ( ٥ ) من هذا البحث كانت تقع بين قصر عيسى وقمرية أي بين جامع خضر الياس وجامع القمرية الحاليين . . . الخ .

قلت لم يثبت ذلك وانما استفاد الكاتب ذلك من قول ابن الجوزي : وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى ثم نستنتج أن الرقة بين قمرية وقصر عيسى وقد تقدم الكلام على ذلك في محله .

هـ ـ قال الراوي : لم يذكر المؤرخون جسراً كان منصوباً ببغداد يسمى جسر باب القرية كما لم يذكروا محلاً اسمه باب القرية وانما الدكتور جواد حسب الظاهر سماه بهذا الاسم لأنه عين موقعه عند محلة القرية التي تسمى محلة باب السيف .

قلت : أما قوله : ( لم يذكر المؤرخون جسراً . . . يسمى جسر باب القرية . . . وانما الدكتور جواد حسب الظاهر سماه

بهذا الاسم . . . الخ ) فصحيح لاغبار عليه وهذا من اجتهادات الجواد ( أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة ) وأما : ( أن المؤرخين لم يذكروا محلاً اسمه باب القرية ) فبعيد عن الصواب وكان على الدكتور الراوي أن يقيد عبارته بالقول :

ـ فيما أعلم ـ فتكون على هذا : ( كما لم يذكروا فيما أعلم ـ محلاً اسمه باب القرية . . . الخ ) ليخرج بذلك من عهده الاحاطة وقد نفاها عن نفسه في مقدمة بحثه القيم )

وها أنا ذا اورد نصاً عن ياقوت الحموي في ( المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ) يذكر فيه ( باب القرية ) قال فيه « باب القرية وهو تصغير القَرْية : القَرَيَّة محلة كبيرة في حريم دار الخلافة ببغداد سكنتها وكان بها جماعة من اهل العلم )[٢٥٦١] .

ومما أورده على الدكتور مصطفى جواد ماذكره الدكتور رحمه الله من ( فتح المأمون باباً شرقياً للقصر وبناء منظرة عليه تشرف على مساحات واسعة وخصوصاً طريق خراسان ) .

ثم رد عليه بأن ذلك غير ممكن وعلّل ذلك بأنه ليس ( من المعقول ان من كان في شارع المستنصر الحالي يمكنه ان يرى طريق خراسان الواقع في الأعظمية ) .

ونحن نقول إنْ كان الامر كذلك فهو غير ممكن وهذا رأي يخص ( الجواد ) نفسه ولا علاقه له بتعيين دار الخلافة فلا نطيل الوقوف عنده .

ومن أدلته مانقله عن أبن الجوزي في حوادث سنة ٤٦١ هـ حيث قال « بلغ الفيضان الثريا وفجرت دجلة بثقاً في دار الغربة وبلغ الماء إلى مشهد النذور ومشهد السبتي » .

قال الدكتور الراوي بعد أن نقل هذا النص يفهم من هذا الخبر أن ماء الفيضان كان قد تسرب من البثق الذي فجرته دجلة في دار الغربة فبلغ الفيضان إلى الثريا ومشهد النذور ومشهد السبتي المهم في الموضوع ان نتعرف على موقع دار الغربة بالدرجة الأولى لأنها كانت من دور الخلفاء وقريبة من موقع دار الخلافة ثم مواقع الأماكن الأخرى التي ذكرها ابن الجوزي في الخبر المذكور

( قال الراوي )

أ ـ إنَّ دار الغربة هذه كانت داراً للخليفة المتقي وكان قد سكنها سنة ٤١٨هـ عز الدولة البويهي والظاهر أنَّ هذه الدار كانت قد نسبت الى شجرة الغرب التي كانت موجودة خارج دار الخلافة وفي شماليها والتي نسبت اليها ( كذا ) باب الغربة الباب الشمالي لدار الخلافة .

ب ـ إنَّ قصر الثريا بناه المعتضد وكان على بعد ميلين عربيين من القصر الحسني ويقع خارج سور بغداد وقرب مقسم الماء . . . . . .

جـ ـ مشهد النذور[٢٥٦٢] وكان يقع عند مصلى الاعياد وهو على بعد نصف ميل من سور بغداد ويقع ظاهر السور .

د ـ مشهد السبتي : يظهر من الخبر الذي اورده ابن الجوزي ان مشهد السبتي كان يقع قرب مشهد النذور وهو أيضاً خارج سور بغداد ، لأن ماء الفيضان المتسرب من البثق الذي فجرته دجله في دار الغربة كان قد بلغ الثريا ومشهد النذور ومشهد السبتي . لذا فإنه كان يقع قرب الثريا ومشهد النذور وخارج سور بغداد ، بناءً عليه يظهر لنا أنَّ الماء المتسرب من دار الغربة كان خارج سور بغداد وليس داخل السور لذا فان دار الغربة كانت خارج سور بغداد أيضاً .

ولما كانت هذه الدار منسوبةً الى شجرة الغَرْب التي كانت موجودة شمالي دار الخلافة والتي نُسبت أليها كذا ) باب الغربة المجاورة لشجرة الغرب المذكورة فعليه تكون دار الخلافة مجاورة لسور بغداد وموقعها كان في موقع وزارة الدفاع حالياً التي كانت مجاورة لسور بغداد هذا ولو أخذنا برأي الدكتور جواد القائل بأن دار الخلافة كان ( كذا ) في موقع شارع المستنصر الحالي وان باب الغربة الباب الشمالي لدار الخلافة كان يقع في شريعة شارع السموأل الحالي .

ففي هذه الحال تكون دار الغربة المنسوبة الى شجرة الغرب في شارع السموأل أو إلى شمالها بقليل وبذلك تكون دار الغربة المذكورة داخل سور بغداد وفي وسط المدينة لا في خارجها واذا صح هذا التعيين لدار الغربة وباب الغربة فان ماء الفيضان المتسرب من البَثْق الذي فجرته دجلة سنة ٤٦١ هـ في دار الغربة لا يمكنه أنْ يبلغ قصر الثريا ولا مشهد النذور ولا مشهد السبتي لأنَّ السور يكون مانعاً للماء من التسرب الى هذه المناطق كما إنَّ من المنطقي أنَّ الماء في هذه الحالة يتسرب الى المناطق المجاورة . . . لذا يتضح لنا من كل ذلك أنَّ دار الغربة هذه كانت خارج سور بغداد وعند شجرة الغرب التي نسبت اليها هذه الدار وباب الغربة من دار الخلافة وهي حسبما نعتقد كانت في موقع شريعة المجيدية ( مدينة الطب ) التي تجاور وزارة الدفاع من الناحية الشمالية وبناء عليه تكون دار الخلافة في موقع وزارة الدفاع الحالية وهذا يؤكد لنا أنَّ دار الخلافة لم تكن في شارع

المستنصر الحالي وأن باب الغربة لم يقع في شريعة السموأل الحالي .

نقلت كلام الدكتور الراوي بطوله وأنا أقول له إنَّ البتق الذي فجرته دجلة في دار الغربة فبلغ الماء الى مشهد النذور ومشهد السبتي . . . كان في سنة ٤٦١هـ وكان الشروع في انشاء السور الكبير في سنة ( ٤٨٨هـ )[٢٧] ولم يكمل إنشاؤه إلا في ايام المسترشد ـ ٥١٢ ـ ٥٢٩هـ فيكون انفجار البتق قبل الشروع ببناء السور بـ ( ٢٧ ) سنة وفي هذا القدر كفاية وان كانت هناك وجوه في الجواب عنه مع افتراض وجود السور لأن اخبار الفيضانات فيها من الغرائب مالا يدخل في الوهم .

ومن الأدلة التي ساقها الدكتور الراوي قوله « ان المنطقة التي عيّن فيها الدكتور جواد دار الخلافة وحريمها ( من شارع السموأل الحالي الى شريعة المربعة الحالية ) ليس فيها حالياً أثراً واحداً ( كذا ) من آثار العباسيين وقصور الخلفاء ودورهم في حين أن موقع وزارة الدفاع الحالية كانت ( كذا ) إلى عهد قريب تشتمل على آثار عباسية تدل على ان هذه المنطقة كانت هي دار الخلافة . . . الخ وأنا أجيب الدكتور الراوي بكلامه وأنقل نص ماذكره في الدليل السابع عشر حيث قال :

كانت بغداد قد خربت واحرقت ونهبت دورها من قبل جيش هولاكو وقد أستمر النهب والحرق والتخريب أربعين يوماً قتل خلالها كثير من السكان وشمل التخريب والنهب والحرق منطقة دار الخلافة وحريمها بصورة خاصة ولم يبق من قصور الخلفاء شيء يذكر حتى جامع القصر قد أحرقوه وهدموه وظلت هذه المنطقة خراباً . . الخ .

أفبعد هذا يستبعد ان يكون موقع دار الخلافة خالياً من أي أثر ؟؟!

وهذا الدليل عليل وإن عوّل عليه الكاتب الجليل .

ثم أعقبه بدليل من نسخة وهو مارسمه نصوحي السلامي المطراقي من صورة بغداد سنة ٩٤١هـ وكان ممن صحب جيش السلطان سليمان القانوني وذكر ماورد في تلك الصورة من معالم دار الخلافة ـ فيما ذهب اليه ـ ومنها سورها وعدة من ابوابها كباب الغربة وباب دار سوق التمر او الدار القطنية . . . وبقايا دور بنايات عديدة على دجلة وقرب السور من الناحية الشمالية والغربية وهي حسب الظاهر بقايا قصور ودور الخلفاء . . . الخ وكل هذا منتقض بما ذكره هو وغيره من عبث المغول بدار الخلافة وحرق قصورها وتهديم دورها والايغال في محو آثارها وطمس معالمها .

ومن أدلة الدكتور الراوي مانقله عن ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٧٢ هـ من تعيين قاضٍ بسوق الثلاثاء وحريم دار الخلافة .

( قال ) يستنتج من هذا الخبر ان حريم دار الخلافة وسوق الثلاثاء كانا متجاورين وفي منطقة واحدة لذا عُيّن لهما قاضياً واحداً ( كذا ) للنظر في القضايا التي تحدث في كل من سوق الثلاثاء وحريم دار الخلافة هذا ولو كان حريم دار الخلافة كما يرى الدكتور جواد يقع شرقي وجنوبي شارع المستنصر الحالي أي منطقة السيد سلطان علي والعبخانة وسويدان وصبابيغ الآل وماجاورها من محلات حتى شريعة المربعة فانها والحالة هذه تكون بعيدة عن سوق الثلاثاء . . الخ .

قلت لو راجع الدكتور الراوي أخبار القضاء والقضاة لما سطر هذا الدليل ( ؟ ) ولا جرى له على خاطر وإليك هذه الأمثلة والشواهد على صحة ماذكرناه .

جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمة ابي الحسن الخرقي « وقلد المتقي بغداد بأسرها الجانب الشرقي ، ومدينة المنصور ، والكرخ ، أبا الحسن أحمد بن عبدالله بن اسحاق الخرقي »[٢٨] وفي تاريخ بغداد ايضاً في ترجمة احمد بن محمد الأبيوردي احد الفقهاء الشافعيين « سكن بغداد وولي القضاء بها على الجانب الشرقي بأسره »[٢٩] .

وفيه في ترجمة الشريف محمد بن صالح الهاشمي المعروف بابن ام شيبان « ثم قلده المطيع قضاء الشرقية مضافاً الى مدينة المنصور وذلك في رجب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فصار على قضاء الجانب الغربي بأسره الى شهر ربيع الأخر سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فان بغداد جمعت لأبي السائب عتبة بن عبيدالله وقُلد القاضي ابو الحسن ( يعني ابن ام شيبان المذكور ) مصر وأعمالها »[٣٠] .

وفيه في ترجمة اسماعيل بن اسحق القاضي العالم المالكي الشهير « ثم جمعت بغداد بأسرها لاسماعيل بن اسحق »[٣١] وفيه في ترجمة عبدالله بن محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني ( وهو من أساتذة السيد الشريف الرضي » :

« ثم ولي قضاء باب الطاق وضُم اليه سوق الثلاثاء ثم جُمِعَ له قضاء جميع بغداد في سنة ست وتسعين وثلاثمائة »[٣٢] .

وفيه في ترجمة عبدالعزيز بن احمد المكنىٰ بأبي الحسن الباخرزي « ولي القضاء بالجانب الشرقي من حدّ المخرّم إلى آخر باب الأزج »[٣] ولنقتصر على هذا القدر من الشواهد ففيه الكفاية .

ومن أدلته مانقله عن ابن الجوزي أن مسجد ابي اسحاق الشيرازي ( يعني الفقيه الشافعي دفين باب ابرز ) كان يقع في درب المطبخ في محلة باب المراتب . . . وقد ورد في محلات بغداد التي ذكرها الرحالة فيلكس جونس اسم درب المطبخ وعقد المطبخ في محلة شاه قولي والظاهر أن هذه المحلة كانت تقع بين جامع السراي حتى شارع المتنبي الحالي وهذا الموقع هو موقع محلة باب المراتب وبناءً عليه فإن دار الخلافة كانت في موقع وزارة الدفاع حالياً وليس في شارع المستنصر .

أقول : إنّ التواطؤ في الاسماء لايدل - بالضرورة - على اتحاد المسميات ، ولا يمكن ان يتخذ مثل هذا ( التوافق ) دليلاً حاسماً فيقال « وبناءً عليه فان دار الخلافة كانت في وزارة الدفاع . . . الخ ) لاسيما في موضوع كهذا ودونك بعض الأمثلة التي توضح المراد ( أعني اتحاد الاسماء واختلاف المسميات .

فهناك درب الزرّادين في الجانب الغربي المسلوك فيه من نهر الدجاج إلى نهر القلائين ودرب الزرّادين في الجانب الشرقي في محلة باب الأزج .

ودرب السلسلة بجوار المدرسة النظامية عند حظائر الحطب في الجانب الشرقي ودرب السلسلة في باب الكوفة في الجانب الغربي .

والقُرّية في الجانب الغربي والقُرّية في الجانب الشرقي من دار الخلافة ومربعة القُرّية الغربية والدار المربعة من دار الخلافة عند القُرية الشرقية ودرب البزازين في الجانب الغربي ودرب البزازين في الجانب الشرقي ودرب الشاكرية من محال نهر مُعلىٰ في الجانب الشرقي ومحلة الشاكرية في الجانب الغربي . . . الخ على ان اسماء المحال سرعان ماتتبدل وما تتحرف إلّا ماقل وندر مما قام الدليل على ثبوته على مسماه ولنا في أدلتنا التي سنذكرها بعدُ مايشبه ان يكون من هذا الباب مع اعتضاده بالقرائن الدالّة .

ومن ادلته مانقله عن ابن الجوزي في حوادث سنة ( ٤٨٠ ) هـ أنه في خامس صفر نودي في سوق المدرسة بأمر السلطان أن لاحريم إلا لأمير المؤمنين وهذا الموضع داخل في حريمه .

( قال الراوي ) يستنتج من هذا الخبر ان سوق المدرسة النظامية كان مجاوراً وقريباً من حريم دار الخلافة الذي كان ينتهي عند باب المراتب الذي هو الباب الجنوبي والباب الاخير من سور حريم دار الخلافة وبناء على ذلك فقد أعتبر ( كذا ) من حريم دار الخلافة والحق به بأمر السلطان . . . ولو كان حريم دار الخلافة يقع شرقي وجنوبي شارع المستنصر الحالي كما يراه الدكتور جواد لما ألحق سوق المدرسة النظامية بحريم دار الخلافة لأن المدرسة النظامية وسوقها كانا يقعان حسب رأي الدكتور جواد في سوق الخفافين وما جاوره أي شمال باب الغربة ودار الخلافة . . . . الخ .

أقول لو راجع الدكتور الراوي الكلام على ( مادة الحريم ) لاتضح له ان ( الحريم ) يتسع ليشمل اكثر من دار الخلافة وقد عُدّ كل ما أحاط به سور المستظهر الكبير حريماً وما أمر به السلطان من النداء في سوق المدرسة النظامية بأن هذا من حرم امير المؤمنين انما هو على سبيل التكريم والتعظيم ويدلك على ذلك ان النداء كان في سنة ( ٤٨٠هـ ) اي بعد زمن غير قصير من بناء سور دار الخلافة ولا علاقة لهذا النداء بالبعد أو القرب من قصر الخلافة ولو تأمل الكاتب في موضع سوق النظامية الممتد الى قريب من باب الغربة لما أستبعد ان يكون من حريم الخليفة هذا إذا لم يصح القول بان لاعلاقة للنداء بالبعد او القرب وبالجملة فهذا الدليل غير ناهض لاسيما مع وجود المعارض كما سيأتي في محله .

ثم ذكر الدكتور الراوي دليلين ضعيفين احدهما ان الخراب الذي شمل دار الخلافة بعد هجوم هولاكو جعلها خراباً وغير مسكونة . . فلما فتح العثمانيون بغداد بعد ثلاثة قرون وجدوها خراباً . . . ولما استقر الامر لهم وضعوا اليد عليها . . الخ .

والثاني ان هذه المنطقة المحصورة بين باب المعظم الحالي وبين جسر الشهداء وبين شارع الرشيد وبين دجلة لازالت ( كذا ) حتى الآن اما دوائر حكومية ملكيتها للدولة او أنها جوامع ومساجد ومدارس دينية وعمارات موقوفة كلها للاوقاف كلها والباقي تملكه الناس على مرور الزمن قلت : ماذكره الدكتور الراوي لاينهض دليلاً بل يمكن ان يقال فيه انه مما يستأنس به لصحة رأيه وصواب ماذهب اليه ولا ينظر اليه مع وجود ( النص القاطع ) مما سنعرض له ان شاء الله تعالى .

وقال في ختام كلامه على دار الخلافة « لم يذكر الدكتور جواد في بحوثه المختلفة عن مواقع وأمكنة بغداد العباسية اي دليل ملموس او سند تاريخي يثبت موقع دار الخلافة في الموقع الذي عينه اي شارع المستنصر وما حواليه . . . . الخ ) .

قلت : إن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله ممن وهبه الله الصبر والدأب وقوة الحافظة فأطلع على مصادر خطية ومطبوعة في الشرق والغرب وجمع فوعى منها ماصار به اعجوبة الدهر في ميدان اختصاصه ولابد أنه قد اطلع على مصادر واسعة في هذا الموضوع وإن كان للدكتور مصطفى جواد من وهم في تعيين بعض المحال فإنها من عثرات الكلام وكبوات الجواد وسنذكر ماحضرنا من الأدلة والمدارك في اثبات موقع دار الخلافة في شارع المستنصر وحواليه بعد الانتهاء من عرض ادلة الدكتور الراوي .

« جامع القصر »

انتقل الاستاذ الراوي بعد كلامه على تعيين موقع دار الخلافة الى الحديث عن جامع القصر الشهير في كتب التاريخ والرجال وقد اطال في الكلام حول نفي كونه الجامع القائم اليوم المعروف بجامع الخلفاء او جامع سوق الغزل كما كان يسمى وأتى بأدلة تلتقي كلها في نقطة واحدة وهي بُعد جامع سوق الغزل الحالي عن دار الخلافة كما عينها الجواد وقد أعتمد الترقيم في عرض هذه الأدلة ونحن نكتفي بالجواب عنها بما نذكره من أقوال المؤرخين في سعة دار الخلافة فيكون ذلك جواباً عن الجميع مع إضافة مايحضرنا في اثناء البحث .

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : حدثني هلال بن المُحسن قال حدثني ابو نصر خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة ، عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . . . وقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله ، ففرشت الدار بالفروش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة ، ورتّب الحُجّاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها . . . حدثني الوزير ابو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة عن القائم بأمر الله عن القادر بالله عن جدته بعد كلام عن رسول صاحب الروم :- ثم رسم أن يطاف به في الدار وليس فيها من العسكر احد البتة وإنما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم سبعة آلاف خادم . . . وعدد الحجاب سبعمائة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم اربعة آلاف غلام . . وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الأعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار اكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة فرس . . . ومن الجانب الايسر خمسمائة فرس . . . ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحوش وكان في هذه الدار من اصناف الوحش التي اخرجت أليها قطعان تقرب من الناس وتشممهم وتأكل من أيديهم ثم اخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة . . ثم أخرجوا الى دار فيها مائة سبع . . ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بساتين في وسطها بركة . . . . وحوالي هذه البركة بستان بميادين فيه نخل وان عده اربعمائه نخله . . . . . ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصراً الى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل . . . . »[٣١] .

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ان مساحة دار الخلافة بما فيها من القصور والدور والبساتين والابواب والابهاء تقدر بثلث مساحة بغداد[٣٢] .

ويكفي الباحث في التدليل على سعة دار الخلافة ماذكره المؤرخون من أن داخل سورها السور الثاني الذي يفصل قصور الخليفة عن بيوت الرعية وفيه من الابواب باب عليان وباب الدوّامات وغيرهما وقد أشرنا أليهما فيما تقدم .

وإذ وصل بنا الكلام إلى هذه الناحية ننقل ماذكره الخطيب البغدادي حول باب العامة الذي هو من أبواب سور دار الخلافة وجامع القصر الملاصق له .

قال الخطيب « غزا المعتصم بلاد الروم . . . وجاء ببابها ( اي باب عمورية ) إلى العراق وهو باق حتى الآن منصوب على احد ابوب دار الخلافة وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر » .[٣٣] .

فجامع القصر إذاً ملاصق لباب العامة الكبير الذي هو احد ابواب سور دار الخلافة التي مر عليك الكلام على سعتها واشتمالها على سور آخر يفصل بين دور الخليفة ومنازل رعيته ولا يهمنا في هذا البحث ان كان ملاصقاً لباب العامة من الخارج او من الداخل او كونه في خارج الحريم او في داخله ، المهم أن نثبت ( معقولية ) المسافة بين جامع القصر ( على القول بان جامع سوق الغزل من بقاياه ) وبين دار الخليفة والنص السابق حاكم على كل ماعداه لوضوحه واتجاه دلالته .

وهنا ننقل دليلين من بابة واحدة للدكتور الراوي نجعل الجواب عنهما ختاماً لـ ( موضوع المناقشة ) .

قال ناقلاً عن الدكتور مصطفى جواد : إنَّ جامع القصر كان موجوداً في دار الخلافة وهو الذي بناه الخليفة المكتفي مكان مطامير القصر الحسني وكان يعرف بجامع القصر ثم اطلق عليه اسم جامع الخليفة ثم جامع الخلفاء في الايام الاخيرة . .

ثم عقب الراوي على ذلك بكلام كنا قد اختصرنا الجواب عنه فيما تقدم الى ان نقل قول الجواد انه كان يعرف بجامع القصر ثم اطلق عليه جامع الخليفة ثم جامع الخلفاء في الايام الاخيرة (قال الراوي ) وهذا غير وارد كلياً لأن جامع القصر كان يسمى جامع القصر او جامع دار الخلافة ولم يطلق عليه اسم جامع الخليفة ولو رجعنا الى كتب المؤرخين والبلدانيين الذين عاصروا العهود العباسية حتى انقراض الدوله العباسية على يد هولاكو لم نجد احداً منهم قد سمى جامع القصر باسم جامع الخليفة فكلهم على الاطلاق كانوا يسمونه جامع القصر او جامع دار الخلافة ولو رجعنا الى تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والى المنتظم . . . لابن الجوزي والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان لياقوت او غيرها لما وجدنا احداً سمى جامع القصر باسم جامع الخليفة . . .

قلت : لو راجع الاستاذ الراوي تاريخ بغداد وغيره لوجد تسمية جامع القصر بجامع الخليفة ـ ودونك بعض النصوص التي تحضرني الآن :ـ

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة الخليفة القائم بأمر الله بن القادر بالله « فلما كان يوم الجمعة الرابع من ذي الحجة لم يخطب بجامع الخليفة وخطب في سائر الجوامع »[٣٢] .

وقال ابن رجب الحنبلي البغدادي في ذيل الطبقات الحنابلة في ترجمة عبدالسلام بن عبدالوهاب بن الشيخ عبدالقادر الجيلي ( رضي الله تعالى عنه ) « مجلس قاضي القضاة والعلماء وابن الجوزي معهم على سطح مسجد مجاور لجامع الخليفة يوم الجمعة ـ يعني من سنة ٥٨٨هـ ـ . . . الخ »[٣٣] .

وجاء في أخبار حريق سنة ٤٤٩هـ عن المؤرخ ابن الصابي ( انقطعت الصلاة في الجوامع الكبيرة كافة عدا جامع الخليفة بالجانب الشرقي »[٣٤] .

فلا عجب ان يقول ابن جبير ( جامع الخليفة متصل بداره وهو جامع كبير الخ )[٣٥] اي بدار الخلافة فلابد ان يكون هو المقصود بقول صاحب كتاب الحوادث المسمى غلطاً ( بالحوادث الجامعة ) ( أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد عمارة منارة جامع الخليفة فانجزت في آخر شعبان ٦٧٠هـ ثم سقطت في شهر رمضان ) ثم قال في حوادث سنة ٦٧٨ هـ ( تم فيها ) عمارة منارة جامع الخليفة التي كانت قد سقطت في (شهر) رمضان . كما نقل ذلك الدكتور الراوي .

وقال الدكتور الراوي اما الجامع الذي سماه ـ يعني صاحب الحوادث جامع الخليفه فهو على الاغلب الجامع الذي بناه المستنصر عام ٦٣٣هـ الذي هو جامع سوق الغزل وذلك ثابت من الكتابة التي كانت موجودة على باب جامع سوق الغزل التي اشار اليها الدكتور جواد في احدى مقالاته المنشورة في جريدة العراق سنة ١٩٣٤ والتي استند اليها لدعم وجهة نظره القائلة بان جامع سوق الغزل هو جامع القصر .

قلت إن الكتابة التي أشار اليها الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في جريدة العراق سنة ١٩٣٤ انما نقلت من واجهة باب الجامع وهي تشعر الى ان المستنصر قد جدده . قال صاحب ( الحوادث ) المسمى غلطاً بالحوادث الجامعة « وفي آخر شعبان ـ يعني من سنة ٦٣٥هـ انتهى من عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة »[٤١] .

وهذا امر معروف ـ اعني ان يكتب اسم المجدد على واجهة باب المسجد او المدرسة او غيرهما لاسيما ان كان خليفة او سلطاناً او من في معناهما وما الكتابة الموجودة على باب الحلْبة ( الطلسم ) التي تشير الى اسم الخليفة الناصر وان عمل هذا المشروع الخيري الا دليل على صحة ماذكرناه إذْ لم يكن له من العمل الا تجديد الباب وترميم بعض ماحوله .

اما قول الدكتور الراوي ان جامع الخليفة ( سوق الغزل ) هو الأغلب الجامع الذي بناه الخليفة المستنصر فليته ذكر لنا الدليل فنحن معه ان ظهر خلاف مانقول وليس عن الصيرورة الى الحق والنجوع الى سُدَّة الصواب مندوحة .

أجل ذكر المؤرخون ان الجامع المعروف بـ ( قمرية ) الذي مازال قائماً في الجانب الغربي بعد الترميم المتتابع هو من بناء المستنصر قال صاحب (الحوادث ) في حوادث سنة ٦٢٦ « وفي شعبان تكامل بناء المسجد المعروف بقمرية بالجانب الغربي »[٤٢] .

وهناك المسجد ذو المنارة كما سماه صاحب الحوادث في دار

الروم اي قرب الصليخ الحالية فانه مما بناه المستنصر قال مؤلف الحوادث في أحداث سنة ٦٢٦هـ « في غرة رجب المبارك فرقت الرسوم بالبدرية ، وفتح الرباط المستجد بدار الروم الذي انشأه الخليفة المستنصر بالله مجاور المسجد ذي المنارة الذي امر بعمارته وأسكنه جماعة من الصوفية »[١٣] .

ونلاحظ ان هذين المسجدين مع كونهما من عمارة الخليفة المستنصر لايقال لاحدهما ( جامع الخليفة ) .

على اننا لانعدم فائدة من قول ابن بطوطة « وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة احدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة . . . لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين ابا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني وسمعت عليه فيه جميع مسند ابي محمد . . . الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة »[١٤] .

فادعاء ابن بطوطة اتصال جامع الخليفة ( الذي رأي فيه السيد سراج الدين عمر بن علي الحسيني القزويني المذكور وقرأ عليه ( مسند الدارمي ) جميعه ) بقصور الخلفاء ودورهم في عصره من اوهامه او تزيده ولكن الذي ينتزع من قوله هو ان جامع الخليفة المذكور هو الذي كان متصلاً بدار الخلافة ايام كانت قصور الخلفاء قائمة ومحال ان يقضي هذه المدة التي قرأ فيها مسند الدارمي على السيد سراج الدين في ( جامع ) معروف ثم ينتقل مكانه من قرب جامع ( الاحمدي ) جوار الميدان الى محلة ( سوق الغزل ) .

ثم اني لا استبعد ان يكون في الكلام سقط من جهة النساخ او سهو من الناقل عنه وان اصل العبارة ( احدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم ( قبل هدمها ) وهو جامع كبير . . . . الخ ) الا يمكن ان يكون هذا وارداً ؟ لاسيما في موضوع كالذي نناقشه ؟

على ان في كلام ابن بطوطة هذا من الحق الذي لامراء فيه اشارته الى امام جامع الخليفة السيد سراج الدين عمر بن علي المحدث الشهير فانه كان محدث بغداد ومسندها وفقيه الشافعية فيها ومدرس الثقتية بباب الأزج وكان هو وابنه السيد محمد محب الدين ممن تولى امامه جامع الخليفة وله ترجمة في اكثر من كتاب كطبقات القراء للحافظ الذهبي وذكر ابن شهبة ولده محب الدين في ( ذيل تاريخ الذهبي ) .

على أنَّ من المستغرب أنْ يذهب الدكتور مصطفى جواد الى كون جامع القصر ( جامع سوق الغزل ) بباب العامة من دار الخلافة كما أثبت ذلك في الخريطة التي رسمها مع ماورد في أحد بحوثه التي أُعيد نشرها بعد وفاته في مجموعة من مقالاته التي كان قد نشرها في مجلات شتى بعنوان ( في التراث العربي )[١٥] حيث قال : « باب العامة كان من أبواب دار الخلافة العباسية ببغداد والظاهر لنا انه كان عند جامع الخاصَّكي ببغداد قرب شارع الرشيد »[١٦] والاستنتاج المنطقي لهذا القول ان يكون جامع القصر ( جامع سوق الغزل ) عند جامع الخاصَّكي الذي مازال قائماً ، وهذا خلاف التحقيق .

وبعد هذا العرض لأدلة الدكتور الراوي ومناقشتها ـ نورد ماتوفر لدينا من أدلة ناهضة باثبات مانذهب اليه كما ذهب الى ذلك من قبل جماعة من المتبعين كان منهم الدكتور مصطفى جواد رحمه الله من كون دار الخلافة العباسية في المكان الذي عينه اولئك الأعلام وهو مايشغل اليوم شارع المستنصر من ( شارع البنوك ) الى ( المربعة ) وما حواليه ، وليس في محل وزارة الدفاع الحالية كما ذهب الى ذلك الدكتور الراوي .

( ١ ) قال ياقوت الحموي في ( باب الخاصة ) من معجم البلدان مانصُّه « باب الخاصة كان أحد ابواب دار الخلافة المعظَّمة ببغداد أحدثه الطائع لله تجاه دار الفيل وباب كلواذا واتخذ عليه منظرة تشرف على دار الفيل وبراح واسع ، واتفق أن كان الطائع يوماً في هذه المنظرة فجوِّزت عليه جنازة أبي بكر عبدالعزيز بن جعفر الزاهد المعروف بغلام الخلّال فرأى الطائع منها ما أعجبه فأمر بدفنه في ذلك البراح الذي تجاه المنظرة وجعل دار الفيل وقفا عليه »[١٧] .

من هذا النص نفهم أن باب الخاصة الذي هو أحد ابواب دار الخلافة كان قريباً من دار الفيل وباب كلواذا بحيث أنه كان قد اتخذ عليه الخليفة منظرة تشرف عليها وسيأتي الكلام عليها وباب كلواذا هذا هو آخر الأبواب الأربعة من سور بغداد الكبير ( سور المستظهر ) من جهة الجنوب ومكانه اليوم في محل الباب الشرقي وسمي بباب كلواذا لأنه يؤدي الى قرية كلواذا المعروفة جنوبي بغداد فهذا يعني ان دار الخلافة كانت قريبة من هذا الباب وانها في موقع شارع المستنصر وما حواليه ولو كانت في مكان وزارة الدفاع لتعذرَ ان تكون المنظرة التي على احد ابوابها ( باب الخاصة ) مشرفة على دار الفيل وباب كلواذا ( الباب الشرقي ) ونحن نرد على الدكتور الراوي بما ردَّ هو به على الدكتور مصطفى

WWW.ATTAWEEL.COM

جواد من استبعاد وجود منظرة في القصر الحسني تشرف على طريق خراسان لبعد الشُقّة بينهما .

وهذه المنظرة ( منظرة باب الخاصة ) من دار الخلافة هي التي ورد ذكرها في أخبار بغداد عند دخول هولاكو وما فعله من عيث وعبث وتقتيل وتخريب بعد قتل الخليفة المستعصم .

جاء في كتاب ( الحوادث ) المسمى غلطاً بـ ( الحوادث الجامعة ) « ثم عين على بعض الامراء فدخل بغداد ومعه جماعة ونائب أستاذ الدار ابن الجوزي[٨] وجاؤا الى أعمام الخليفة وانسابه الذين كانوا في دار الصخر ودار الشجرة وكانوا يطلبون واحداً بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيحمل الى مقبرة الخلّال التي تجاه المنظرة فيقتل »[٩] .

وفي النص المنقول عن ياقوت في ( باب الخاصة ) كما نقلناه من وضوح الدلالة على المقصود مالا ينبغي معه إطالة الكلام فلنعج على الدلاله الثانية المستفادة منه ونعني بذلك تعيين دار الفيل ومقبرة الخلّال منها . والذي نلاحظه في استقراء اخبار دار الفيل انها اصبحت بعد دفن الخلال فيها مقبرة معروفة وكانت تسمى بمقبرة الخلال كما تسمى بمقبرة الفيل ودفن فيها جماعة من الأعلام وقد نص المؤرخون والخطيطيون على أنها في باب الأزّج ( باب الشيخ ) .

واليك هذه النصوص الصريحة في أخبار دار الفيل ومقبرة الخلّال ومنها تستفاد شهرتها وبقاؤها علماً شاخصاً الى قرون كثيرة وقد اكثرت من تلكم النقول لاثبات صحة تعيين تلك المقبرة بباب الازج واستفادة قرب دار الخلافة من حدود محلة باب الأزج « الممتدة من مرقد الشيخ الجليل عبدالقادر الجيلي وما حوله الى دجلة قرب ( المربعة ) » .

(أ) ونبدأ بذكر من سُمّيت المقبرة باسمه وهو ابو بكر عبد العزيز بن جعفر بن احمد الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال قال الخطيب البغدادي في ترجمته من ( تاريخ بغداد ) : « توفي عبدالعزيز غلام الخلال يوم الجمعة لسبع بقين من شوّال سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة ، ودفن عند دار الفيل »[١٠]

(ب) قال الخطيب البغدادي في ( تاريخ بغداد ) في ترجمة أحمد بن علي بن يزداد المكنّى بأبي بكر القارىء بعد وصفه إياه بكونه عالماً بالقرآن وعلومه « مات ابو بكر بن يزداد في ليلة الجمعة ، ودفن يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة عشرٍ واربعمائة ، ودفن بباب الأزج عند قبر عبدالعزيز بن جعفر الحنبلي غلام الخلال »[١١] .

(جـ) وجاء في ( المنتظم ) لابن الجوزي في وفيات سنة (٥١٢هـ) في ترجمة طلحة بن أحمد بن الحسن الكندي « . . وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة وتوفي في هذه السنة ودفن بمقبرة الفيل قريباً من أبي بكر عبدالعزيز »[١٢]

(د) وجاء في ( المنتظم ) ايضا في وفيات سنة (٥٤٢هـ) في ترجمة دعوان بن علي ب

(أ) ونبدأ بذكر من سُمّيت المقبرة باسمه وهو ابو بكر عبد العزيز بن جعفر بن احمد الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال قال الخطيب البغدادي في ترجمته من ( تاريخ بغداد ) : « توفي عبدالعزيز غلام الخلال يوم الجمعة لسبع بقين من شوّال سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة ، ودفن عند دار الفيل »[١٠]

(ب) قال الخطيب البغدادي في ( تاريخ بغداد ) في ترجمة أحمد بن علي بن يزداد المكنّى بأبي بكر القارىء بعد وصفه إياه بكونه عالماً بالقرآن وعلومه « مات ابو بكر بن يزداد في ليلة الجمعة ، ودفن يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة عشرٍ واربعمائة ، ودفن بباب الأزج عند قبر عبدالعزيز بن جعفر الحنبلي غلام الخلال »[١١] .

(جـ) وجاء في ( المنتظم ) لابن الجوزي في وفيات سنة (٥١٢هـ) في ترجمة طلحة بن أحمد بن الحسن الكندي « . . وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة وتوفي في هذه السنة ودفن بمقبرة الفيل قريباً من أبي بكر عبدالعزيز »[١٢]

(د) وجاء في ( المنتظم ) ايضا في وفيات سنة (٥٤٢هـ) في ترجمة دعوان بن علي بن حماد الجُبيّ :

« . . . . وتفقه على أبي سعد المخرمي[١٣] وكان متعبداً ( كذا والصواب مُعيداً )[١٤] للخلاف بين يديه . . . وتوفي . . . . ودفن بمقبرة ابي بكر غلام الخلال »[١٥]

(هـ) وجاء في ( المنتظم ) في وفيات سنة ( ٥٦٠هـ ) من المتوفين فيها « محمد بن عبدالله بن العباس . . الحراني . . . وكان لطيفاً ظريفاً وجمع كتاباً سماه ( روضة الادباء . . . ولي منه اجازة توفي يوم السبت ثالث عشر جمادى الاخرة ودفن بمقبرة الفيل من باب الأزج »[١٦] .

وقد ذكره ابن رجب الحنبلي في ( ذيل طبقات الحنابلة )

ولقبه بالحراني الأزجي المعدل ونص على أنه دفن ( بمقبرة الفيل )[٥٧] .

(و) وجاء في ( التكملة ) للحافظ المنذري في وفيات سنة ( ٥٩١هـ ) « وفي ليلة عيد الفطر توفي الشيخ ابوبكر أحمد بن بدر بن الفرج . . البغدادي القطّان الكاتب ببغداد ودفن من الغد بمقبرة الفيل » .

(ز) وجاء في ( التكملة ) ايضاً في وفيات سنة ٥٩٩هـ « وفي الخامس من صفر توفي الشيخ ابو بكر بن ابي عبدالله الحسين بن ابي الفتح طاهر . . النهرواني الازجي ودفن بمقبرة الفيل بباب الأزج »[٥٨] .

(ح) وجاء في ( التكملة ) ايضاً « وفي السادس عشر من شهر ربيع الاول ( يعني من سنة ٦٠٠هـ ) توفي الشيخ أبو المعمّر بقاء بن عمر بن عبدالباقي . . . البغدادي الأزجي الدقاق ببغداد ودفن من الغد بمقبرة الفيل بباب الأزج »[٥٩] .

(ط) وجاء في ( التكملة ) ايضا في وفيات سنة (٦٣٠هـ) « وفي ليلة السادس والعشرين من جمادى الاخرة توفي الشيخ ابو المعالي مبارك بن احمد بن وفاء البغدادي الدقاق . . ودفن بمقبرة الخلال »[٦٠] .

ولا بأس ان نستطرد هنا الى ما ذكره المنذري في وفيات سنة (٥٨٤) فقد جاء فيها ذكر وفاة الشيخ ابي الفضل مبارك بن أحمد بن وفاء البغدادي الدقاق وأنه دفن في باب حرب ( يعني من الجانب الغربي ) والظاهر ان دفين دار الفيل هو أبن دفين باب حرب وسمّيه فهو المبارك بن المبارك وهذا كثير الوقوع في اسماء المتقدمين ويدل على عدم اتحادهما اختلاف الكنية ومكان الدفن .

فهذه النصوص وكثير غيرها مما لم نذكره تدل على ان مقبرة الخلال في باب الازج ( باب الشيخ الى نهر دجلة قرب المربعة ) وبذلك يُعلم أن دار الخلافة التي من ابوابها( باب الخاصة ) ومنظرته المشرفة على مقبرة الخلال قريبة من باب الأزج أي في شارع المستنصر وما حواليه .

وهنا امر لابد من التنبيه عليه وهو ان الخطيب البغدادي ذكر وفاة ابي بكر غلام الخلال في شوال من سنة ٣٦٣هـ وقد قلدّ الطائع الخلافة في ذي القعدة من تلك السنة فيكون صاحب المنظرة المطيع قبل ان يُشل لا الطائع كما ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي في ( شذرات الذهب )[٦١] .

(٢) قال ابن جبير الرحالة الشهير في رحلته المعروفة برحلة ابن جبير مانصه « ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه ، الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي ، بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقي . . . »[٦٢]

وهذه الدار هي في الحقيقة دار المدرسة الشاطئية التي اوقفتها بنفشا بنت عبدالله حظية الخليفة المستضيء على الحنابلة وكان ابن الجوزي مدرس المدرسة المذكورة أيام دخول ابن جبير بغداد فكان يسكن الدار التابعة لها الموقوفة على من يقوم بالتدريس فيها .

قال ابن الجوزي في ( المنتظم ) « وعزل ابو نصر بن جهير في ربيع الاول ( يعني من سنة ٥٤٢هـ ) عن الوزارة وسكن بالدار التي بناها بشاطيء دجلة بباب الازج وهي التي آل أمرها الى ان صارت ملكاً لجهة الامام المستضيء بأمر الله فوقفتها مدرسة لأصحاب أحمد بن حنبل وسلمتها إليّ فدرست فيها سنة سبعين »[٦٣] وقال ابن ابي شامة في ( ذيل الروضتين ) في وفيات سنة ( ٥٩٨هـ ) « وفيها توفيت السيدة بنفشا ابنة عبدالله جارية المستضيء . . وهي التي اشترت دار الوزير ابن جهير بباب الأزج ووقفتها على الحنابلة وفوضت نظرها الى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي » .

والوزير ابن جهير هذا هو أبو نصر المظفر بن علي بن محمد بن محمد بن جهير الثعلبي الربعي جاء في ( المنتظم ) أنه ( من بيت الوزارة وكان استاذ الدار ثم وزر للمقتفي توفي يوم الخميس سادس ذي الحجة سنة ٥٤٩هـ وصلي عليه بجامع القصر . . »[٦٤] .

وهو غير الوزير فخر الدولة محمد ابن جهير الذي عمل السقاية في جامع القصر واجرى اليها الماء من داره في قنى تحت الارض وجعل لها قوارات فان وفاة هذا كانت في سنة ( ٤٨٣هـ ) وقد كانت دار هذا الاخير في باب العامة قرب ( جامع القصر ) ولم يكن ابن جبير الوحيد الذي اشار الى مجالس ابن الجوزي الوعظية في هذه الدار بل ذكرها ناصح الدين الحنبلي الواعظ قال ابن رجب البغدادي في ( ذيل طبقات الحنابلة ) في ترجمة ابن الجوزي : « قرأت بخط الامام ناصح الدين ابن الحنبلي

الواعظ : حضرت مجالسه الوعظية ( يعني ابن الجوزي ) بباب بدر عند الخليفة المستضيء ومجالسه بباب الازج على شاطيء دجلة ) ( يعني عند الدار المذكورة ) .

بعد هذا الاستطراد المفيد نرجع الى النص الذي ذكره ابن جبير في رحلته حيث : ( دار ابن الجوزي أي دار المدرسة الشاطئية بباب الازج على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية فالمدرسة اذاً متصلة بقصور الخليفة أي ( دار الخلافة ) وبباب الازج على دجلة ( أي قريبة من المربعة ) وبمقربة من ( باب البصلية ) وهو ( باب كلواذا ) الذي هو اليوم ( الباب الشرقي ) وأين من ذلك موقع وزارة الدفاع الحالية ؟! وكيف تكون ( المدرسة الشاطئية ) وهي بباب الازج بمقربة من باب البصلية ( الباب الشرقي الحالي ) متصلة بقصور الخليفة أي ( دار الخلافة ) في مكانها الذي عينه الاستاذ الراوي في موقع وزارة الدفاع ؟!

أقول : ولايزال مكان المدرسة الشاطئية معروفاً بدلالة وجود قبر ينسب الى ابن الجوزي في تلك البقعة من منطقة ( السنك ) على شاطيء دجلة وكان في شاهد ذلك القبر ثلاثة ابيات وتحتها كتابة تشير الى ان هذا القبر للشيخ ابي الفرج ابن الجوزي وان هذا القبر بني في سنة ١٠٥٥هـ والشاهد المذكور على شكل لوحة رخام وهو من آثار كوجك موسى باشا أحد الولاة العثمانيين .

والذي اعتقده ان يكون لشهرة دار المدرسة الشاطئية التي سكنها ابن الجوزي ايام توليته إياها أثر في نسبة القبر المزبور إليه لان ابن الجوزي دفن في مقبرة باب حرب في الجانب الغربي من بغداد ( أي في الجهة المقابلة لمحلة الكريمات وما اتصل بها من الجانب الشرقي ) .

(٣) ـ : قال ابن رجب البغدادي الحنبلي في ( ذيل طبقات الحنابلة ) في ترجمة ابن الجوزي « قال ابن الجوزي وفي شعبان سلمت إليَّ المدرسة التي للجهة ( بنفشا ) . . . وتقدم إليَّ بذكر الدرس فيها وحضر قاضي القضاة وحاجب الباب وفقهاء بغداد وخلعت عليَّ خلعة . . . . . ووقف أهل بغداد من باب النوبي الى باب المدرسة »[٦٥] .

فالذي يجري في العادة عند تعيين مدرس ما وان كان من وزن ابن الجوزي ان يكون هناك احتفال وتكريم لمن تقلد هذا المنصب بالشكل الذي يتناسب مع المهمة التي يقوم بها والمقبول على ما فيه من مبالغة ايضا ان يكون وقوف اهل بغداد من باب النوبي حيث دار الخلافة عند شارع المستنصر الحالي الى باب المدرسة حيث محلة السنك الحالية اما ان يكون من باب وزارة الدفاع الحالية ( حيث عين السيد الراوي مكان باب النوبي بباب وزارة الدفاع ) الى باب الازج عند السنك في أمر تعيين مدرس فينتظم أهل بغداد من قرب الباب الشمالي ( باب السلطان ) ( باب المعظم ) الى قريب من باب البصلية ( الباب الشرقي ) فهذا بعيد جداً ( وغير معقول ) على حد تعبير الدكتور الراوي .

(٤) قال العماد الكاتب في ( الخريدة ) في ترجمة ابي الحسن علي ابن الدربني المعروف بابن الابري زوج شهدة الكاتبة « ثقة الدولة ابن الدربني المعروف بابن الابري ابو الحسن علي بن محمد من بغداد ، كان من اركان دولة المقتفي ـ رضي الله عنه ـ مجموع الكرم والفضل والورع والدين ولم يزل متعصباً لاصحاب الشافعي ـ رض ـ وبنى مدرسة لهم وسلمها الى شيخنا شرف الدين يوسف الدمشقي وأقمت فيها ثلاث سنين للتفقه وهي المدرسة المعروفة بالثقتية على الشط تحت دار الخلافة »[٦٦] .

فقوله ( على الشط تحت دار الخلافة ) يعني انها قريبة من دار الخلافة في الحد الجنوبي منها فأين كانت تقع هذه المدرسة ؟!

قال المنذري في ( التكملة ) في ترجمة الامام ابي طالب المبارك بن المبارك بن المبارك البغدادي الكرخي الشافعي المعروف بابن الخل « ودرس بالمدرسة الكمالية بباب العامة من بغداد ، وبمدرسة ثقة الدولة بباب الازج »[٦٧] .

وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ( ٥٦٤هـ ) « وفي صفر جلس ابن الشاشي للتدريس بالمدرسة التتشية ( كذا ) على شاطيء دجلة بباب الازج التي كانت بيد يوسف الدمشقي وحضر عنده جماعة من ارباب المناصب »[٦٨] .

قلت : ماورد في المنتظم من تسمية المدرسة الثقتية بالتتشية في هذا النص انما هو من تصحيف النساخ لان المدرسة ( التتشية ) المنسوبة الى أحد مماليك السلطان تتش السلجوقي كانت للحنفية ولم تكن بباب الازج بل كانت قريبة من المكان الذي بنيت فيه المدرسة المستنصرية فيما بعد .

وقال ابن النجار البغدادي المؤرخ في ( تاريخ بغداد ) في ترجمة عبدالودود بن عبدالحميد بن المبارك الفقيه الشافعي المعروف بابن المجبر « وقرأ الخلاف والجدل ، وناظر الفقهاء

وتولى الاعادة بالمدرسة النقتية بباب الازج بعد وفاة والده » وقال ابن النجار ايضا في ( التاريخ المجدد لدار السلام ) في ترجمة الدربني « كان فيه أدب ويقول الشعر اللطيف ، وبنى مدرسة لاصحاب الشافعي على شاطيء دجلة بباب الازج » .

من هذا نعلم ان المدرسة ( النقتية ) كانت بباب الازج تحت دار الخلافة أي في حدها الجنوبي كما تقدم ويكون الموقع الذي عينه المتبعون لدار الخلافة من ( شارع المستنصر ) حتى ( المربعة ) هو الصحيح الموافق لمضمون هذا النص أما على القول بانها في موقع وزارة الدفاع الحالية فلا يتجه لقول ( العماد ) ( تحت دار الخلافة ) معنى اذ كل بغداد الداخلة في سور المستظهر تقع تحت دار الخلافة حينئذٍ فلا معنى لهذا القيد . . .

(٥) ـ : قال ياقوت الحموي في ( المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ) في باب الحريم : « بفتح الحاء وكسر الراء وياء ساكنة الاول حريم دار الخلافة ببغداد وهو مقدار ثلث مدينة السلام بغداد وعليه سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه الى دجلة كهيئة هلال او نصف دائرة وله ابواب اولها باب الغربة على دجلة ثم باب سوق التمر . . . ثم باب البدرية ثم باب النوبي . . . ثم باب العامة . . . ثم يمتد السور من باب العامة نحو ميل لا باب فيه الا باب بستان في آخر المأمونية . . . ثم باب المراتب بينه وبين دجلة من جهة باب الازج نحو رميتي سهم وهو من ناحية الشرق »[٣٩] .

والذي نستفيده من هذا النص امران

أولهما : ان باب البستان ( الذي هو أحد ابواب دار الخلافة ) كان يقع في آخر محلة المأمونية أو انها تمتد بعده بقليل نحو الجنوب ـ اذا ادخلنا في ( الاعتبار ) تسامح المتقدمين في القياس .

وهنا يتعين علينا تحديد موقع المأمونية لنستدل به على صحة ما ادعيناه مما قدمنا ذكره قال ياقوت الحموي في معجم البلدان « ثم انتقل القصر ( يعني الحسني ) الى المأمون فكان من احب المواضع إليه وأشهاها لديه . . . وابتنى قريباً منه منازل برسم خاصته وأصحابه سميت ( المأمونية ) وهي الى الان الشارع الاعظم فيما بين عقدي المصطنع والزرادين »[٤٠] .

وقد ذكر ياقوت في مادة قراح من ( معجم البلدان ) عند وصفه طرق بغداد الشرقية ان عقد المصطنع يقع شرقي جامع القصر أي شرقي ( باب العامة ) وبهذا يتحدد موقع محلة المأمونية بين باب العامة وباب البستان او بعده بقليل لتتصل بها محلة باب الازج حيث انها تمتد من عقد المصطنع شرقي جامع القصر الى محلة الزرادين في باب الازج قرب مرقد السيد سراج الدين .

واني لأعجب من قول الدكتور الراوي « لذا فإن بداية محلة المأمونية كانت عند جنوب شرقي محلة الحيدرخانة الحالية لان محلة المأمونية تقع شرقي جامع القصر » . . فكيف يكون اخر المأمونية عند باب البستان من ابواب دار الخلافة كما نص على ذلك ياقوت وبدايتها عند جنوب شرقي محلة الحيدر خانة كما يقول الدكتور الراوي ؟؟ هذا على رأي الدكتور الراوي القائل بان موقع دار الخلافة كان في محل وزارة الدفاع الحالية . . . هذا خَلْفٌ .

والامر الثاني : قول ياقوت عن باب المراتب ( بينه وبين دجلة من جهة باب الازج نحو رميتي سهم )

وهذا النص ثابت في الطبعة القديمة ( للمشترك وضعا ) وقد سقطت عبارة ( من جهة باب الازج ) من بعض الطبعات الاخيرة والاضافة مقدمة على الحذف في هذا المقام ـ أعني اختلاف الطبعات ـ مع وجود المرجحات الاخرى من دقة التحقيق وصحة التوثيق ولذا نرى المحققين عندما يقوم احدهم بتحقيق كتاب ما يعتمد عدة نسخ خطية ثم يتخب واحدة منها ويجعلها النسخة ( الام ) فما كان في غيرها من زيادات مهمة يضيفها الى الاصل محصورة بين خاصرتين ويشير في الهامش الى مظنة وجودها .

وعلى هذا فان قول ياقوت عن باب المراتب ( بينه وبين دجلة من جهة باب الازج نحو رميتي سهم ) دليل على مجاورة باب المراتب لمحلة باب الازج وذلك ما يعضد رأي الدكتور مصطفى جواد ومن سبقه وتأخر عنه من الباحثين في أن موقع دار الخلافة كان في المنطقة الواقعة بين شريعة السموأل وشريعة المربعة الحاليتين . ولا يتم لياقوت قوله عن باب المراتب « بينه وبين دجلة من جهة باب الازج » لو كان موقع دار الخلافة في مكان وزارة الدفاع الحالية لبعد المسافة فأين موقع باب المراتب حتى لو مددنا محلته الى شارع المتنبي الحالي من باب الازج قرب المربعة حيث جزؤه الممتد الى شاطيء دجلة ؟!

وقال ياقوت في معجم البلدان عن ( منظرة الحلبة ) « موضع مشرف ينظر منه وهي منظرة محكمة البنيان في وسط السوق في آخر محلة المأمونية ببغداد قرب الحلبة »[٤١] .

والحلبة هذه هي محلة باب الشيخ وبها سمي ( باب

الحلبة ) ثالث ابواب سور بغداد الكبير الواقع شرقي مرقد الشيخ عبدالقادر الجيلي ( رض ) والذي كان من بقاياه ما يعرف بالمحطة ومكانه اليوم قرب الخط السريع الجديد من جهة الشيخ عبدالقادر فتكون محلة المأمونية مجاورة لمحلة الحلبة وباب الازج وسنعود الى ( منظرة الحلبة ) في دليل آخر .

(٦) قال ياقوت الحموي في القرية من ( المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ) « باب القرية وهو تصغير القرية : القُرَيّة محلة كبيرة في حريم دار الخلافة ببغداد سكنتها وكان بها جماعة من اهل العلم ونسبوا اليها »[٣٢] .

والقرية هذه مازالت قائمة وهي تجاور ( المربعة ) الحالية والتي اشار اليها ياقوت في ( معجم البلدان ) ايضاً وذكر انها من دار الخلافة حيث قال « دار المربعة بدار الخلافة ببغداد »[٣٣] وقد بقيت القرية محافظة على اسمها حتى عصرنا الحاضر ولها ذكر في ( صحاح الاخبار ) .

(٧) قال صاحب كتاب ( الحوادث ) المسمى غلطاً بـ ( الحوادث الجامعة ) في اخبار سنة ٦٤٠هـ « في يوم الخميس خامس عشر من رجب ركب المستعصم بالله في شبارة ومعه شرف الدين اقبال الشرابي وعز الدين مرشد الهندي المستعصمي واصعد في دجلة الى مشرعة الكرخ وعاد منحدراً الى باب الازج ثم عاد الى داره »[٣٤] .

فهذا النص يفيد ان الخليفة قد ركب من داره ( دار الخلافة ) بدلالة قول المؤرخ المذكور ( ثم عاد الى داره ) .

ولابد لنا ـ ونحن نستجلي هذا النص ـ من أن نستكمل وجوه البحث في دلالة مفرداته بعد ان يحقق موقع بعض الاماكن الواردة فيه فمشرعة الكرخ كانت عندها محلة الرملة قال ياقوت في ( المشترك وضعاً ) « الرملة محلة ببغداد في مشرعة الكرخ الى دجلة » .

وقال ابن الساعي في سيرة سلجوقي خاتون زوج الناصر « كانت قد اختارت ان تنشيء تربة الى جانب مشهد عون ومعين ولدي علي عليه السلام بالجانب الغربي في مشرعة الكرخ » .

والتربة المذكورة كانت في شريعة خضر الياس الحالية قرب ( جسر ١٤ رمضان الجديد ) من الجانب الغربي .

ولما كانت مشرعة الكرخ في هذا المكان فهذا يعني انها تقع بجوار باب الغربة ـ على رأي الدكتور الراوي في حين ان كلمة ( اصعد ) تفيد البعد في الانتقال من الجنوب الى الشمال سواء اكان ذلك برا ام بحرا فكيف يسمى الانتقال من موقع وزارة الدفاع الحالية الى قريب من جسر ( مدينة الطب ) اصعادا ؟! وهما من القرب على ما لايخفى على احد .

نعم ليصح هذا الاطلاق لو كانت دار الخلافة في موقع شارع المستنصر الحالي لان العرف والاستعمال اللغوي يساعدان على صحة ارادة هذا المعنى ويدلك على رجحان ما ذهبنا اليه ما ذكره المؤلف في ذيل الخبر المذكور .

« وعاد منحدراً الى باب الازج ثم عاد الى داره » ولم يقل : ثم عاد مصعداً الى داره لمجاورة باب الازج لدار الخلافة .

واذ نسوق هذا الدليل فلحسبانه من ( الادلة الاستئناسية ) وقد جارينا الاستاذ في ايراده حيث ان جميع ادلته من هذا النوع وليس فيها نص قاطع واحد في الاقل بخلاف ما اوردناه في الادلة السابقة التي هي نصوص لاتقبل التأويل .

(٨) قال ابن الجوزي في عزل الطائع لله ( أصعد به الى الخزانة في دار المملكة )[٣٥] ودار المملكة في المخرم ( أي العيواضية الحالية ) والاصعاد ينفي ( المصاقبة ) المُدّعاة في كلام الدكتور الراوي ويشعر بوجود البعد بين الدارين ـ ( دار المملكة ودار الخلافة ) وهذا الدليل من سنخ السابق .

(٩) قال ابن الجوزي في الحريق الذي وقع في سنة ٤٨٠هـ في ( الحلبة ) انه بدأ ( في احطاب جمعت في أشهر لشواخير الاجر بالحلبة ، قصد ايقاع النار فيها عدوّ لاصحابها فأصاب من تلك النار سطوح التأس والحريم كله حتى كأن في كل سطح شموعاً »[٣٦] .

والحلبة هي محلة ( باب الشيخ الحالية ) واليها نسب ( باب الحلبة ) كما تقدمت الاشارة الى ذلك فاذا كانت النار المتقدة في الحلبة تصيب ( الحريم كله ) أي حريم دار الخلافة فهل يدل هذا الا على قرب الحلبة من الحريم ؟! وأين حريم دار الخلافة ان كان موقعها ( في وزارة الدفاع الحالية ) على قول السيد الراوي من محلة ( الحلبة ) بباب الازج ؟!

وهنا لابد من الاشارة الى ان ( الحريم ) في هذا النص هو حريم دار الخلافة ليس غير لان سور المستظهر لم يبدأ العمل به الا سنة ٤٨٨هـ وسمي ما كان داخله فيما بعد بالحريم او الحريم الكبير هذا مضافا الى انه من غير المعقول ـ كما يرى الدكتور

الراوي ـ ان تمتد نار في محلة الحلبة وهي في آخر السور لتشمل مدينة بغداد الكبيرة حتى لو سلمنا جدلاً ان النار وقعت بعد بناء سور المستظهر .

وهذا نص صريح اما ( اخبار الحرائق ) التي ساقها الدكتور الراوي فمما يتطرق اليه الاحتمال فتسقط بذلك عن درجة الاعتبار كما قررنا ذلك في محله .

(١٠) قال ياقوت الحموي في ( معجم البلدان ) عن ( منظرة الحلبة ) « موضع مشرف ينظر منه وهي منظرة محكمة البنيان في وسط السوق في آخر محلة المأمونية ببغداد قرب الحلبة »[٣٧] .

وهذا دليل آخر على اتصال محلة المأمونية بالحلبة ( باب الازج ) بحيث ان المنظرة الواقعة في آخرها تسمى ( منظرة الحلبة ) والمأمونية من حريم دار الخلافة وكانت قريبة من دار الخلافة كما مر عليك من قول ياقوت « وابتنى ( أي المأمون ) قريبا منه ( أي من القصر الحسني دار الخلافة فيما بعد ) منازل برسم خاصته واصحابه سميت المأمونية » .

وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ( ٤٥٥هـ ) « وفي ليلة الاربعاء لثمان بقين من شعبان رأت امرأة هاشمية في منامها النبي صلى الله عليه ( وآله ) وسلم وعلي بن ابي طالب في مسجد صغير بالمأمونية من الحريم الشريف » .

أي ان المأمونية من حريم دار الخلافة قبل ان يبنى سور المستظهر ( سنة ٤٨٨هـ ) الذي اصبح ما يحتوي عليه حريما عاماً وبذلك يكون حريم دار الخلافة ممتدا الى قريب من الحلبة في باب الازج وهذا ما يعضد القول بان موقع دار الخلافة كان فيما بين شريعة ( السمواك والمربعة ) .

وهل يصح قول ياقوت السابق ( وابتنى قريبا منه أي من القصر الحسني ( دار الخلافة ) منازل . . . سميت المأمونية ) اذا كان القصر الحسني ـ على قول الدكتور الراوي ـ هو القصر العباسي الحالي قرب وزارة الدفاع مع امتداد المأمونية الى ( الحلبة ) في باب الازج ؟!

وبعبارة مختصرة كيف تمتد محلة واحدة من محال بغداد ـ مهما كانت من الطول والعرض ـ من قرب محلة الميدان الى محلة الحلبة ـ باب الشيخ ؟!

ارجو ان يقف الدكتور الراوي عند قول ياقوت : ( وابتنى قريباً منه « القصر الحسني » . . . المأمونية ) وقوله ( آخر محلة المأمونية قرب الحلبة ) ليستنتج بالقياس المنطقي صحة ما استنبطناه ويقارنه بما ذكره هو في بحثه من قوله ( والواقع ان المنظرة المذكورة كانت في آخر البلد من الناحية الشرقية )[٣٨] .

(١١) قال الحافظ ابو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي في ( ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ) في ترجمة محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عمر الحنفي البخاري ( وقدم محمد بن عبدالعزيز . . . بغداد حاجاً في سنة ثلاث وست مئة في جماعة من الفقهاء من أهل بلده واتباع وتجمل كثير ، وتلقاه موكب جميل من الديوان العزيز فيه فخر الدين . . صاحب ديوان الزمام يومئذ وجماعة من الحجاب والامراء والاجناد والاعيان وخرجوا اليه الى ظاهر السور ( بباب الحلبة )[٣٩] .

وهذا دليل استئناسي ـ على طريقة الدكتور الراوي في استدلال ـ

فان موكب الديوان العزيز انما يخرج من دار الخلافة ليستقبل الوفود الرسمية ـ بما هو مرسوم له ـ واذ خرج هذا الموكب بما فيه من صاحب ديوان الزمام والحجاب والامراء والاجناد والاعيان الى ظاهر السور بباب الحلبة دل ذلك على قرب هذا الباب دون سائر الابواب الى دار الخلافة .

ولا يكون كذلك الا اذا كانت دار الخلافة في موقع شارع المستنصر وما حواليه اما اذا كانت في موقع وزارة الدفاع الحالية فلا أقل من أن يكون الخروج لاستقبال الوفود من باب الظفرية ( الذي مازال قائماً قرب مرقد الشيخ عمر السهروردي البكري ) .

هذا ما حضرني عند كتابة هذا البحث واكرر القول اني لا املك من المصادر في هذا الموضوع الا القليل او اقل من القليل ـ ان صح التعبير ـ وعسى ان تكون لي عودة الى هذا الباب ان نسأل الله تعالى في الاجل ( وله الحمد في الاولى والاخرة ) .

## الهوامش

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٨٤ .

(٢) ١/٩٨ .

(٣) ١/٩٤ .

(٤) ٦/١٦٢ .

(٥) ١/٨٠٦ .

(٦) ٢٨ ـ ٢٩ .

(٧) ١٩٩ .

(٨) ٣/١٩٣٠ .

(٩) ٥٨ ـ ٥٩ .

(١٠) ١/١١٦ .

(١١) ٢/١٤٠٦ .

(١٢) المنتظم ٨/٢٨٤ .

(١٣) كذا اورد وكان عليه أن يقول : فإنه من غير المعقول . . . الخ .

(١٤) ٨/١٨ .

(١٥) ٩/٣٧ .

(١٦) أبو حامد الغزالي الفقيه الصوفي المتكلم توفي في طوس سنة ٥٠٥هـ وقد ذهب بعضهم الى ان القبر القائم هو قبر أخيه ابي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي وهذا لايصح ايضاً لأنه توفي بقزوين والذي ـ عندي ـ إن كان لي عند انه مكان رباط الشيخ عبدالقادر الجيلي ( رض ) وكان يسمى رباط الحلبة قريباً من السور والى الرباط المذكور حمل ابن الجوزي صغيراً لسماع حديث الشريف أبي القاسم علي بن علي العلوي العمري من اولاد عمر الأطرف بن امير المؤمنين علي عليه السلام ) وكان مجلس وعظ الشيخ الجيلي (رض) عند الرباط ومن راجع كتاب ( الفتح الرباني) وجد ان كثيراً من دروس الشيخ ومواعظه القاها في ذلك الموضع وقد زاره الشيخ مصطفى الصديقي في سنة ١١٣٩هـ كما في رحلته والمقبرة المعروفة اليوم بمقبرة الغزالي هي مقبرة الحلبة الشهيرة في التاريخ وفيها دفن عدد من اولاد الشيخ عبدالقادر كالشيخ عبدالوهاب ويحيى ومحمد ولد جدّد المرقد المنسوب الى الغزالي وذكر في شاهد المرقد بعد ذكر الغزالي : قال بعض المؤرخين توفي ببغداد ولا يخفى ان هذا تدليس وتلبيس ولكاتب هذه السطور بحث مفصل في هذا الموضوع وبين الرباط المذكور وباب الحلبة كان يقع ( متعبد الشيخ عبدالقادر ( رض ) ) .

(١٧) المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ١٢٩ ط جوتنجن ١٨٤٦م .

(١٨) ٢/٦١ .

(١٩) ٢/٧١ .

(٢٠) ٢/١٥ .

(٢١) ٨/٢٨٤ .

(٢٢) ص ٦٠ .

(٢٣) بغداد مدينة السلام لـ ( ريجارد كوك ) ص ٦٣ هامش .

(٢٤ ـ ٢٥ ) ص ١٣١ .

(٢٦) مشهد النلور هذا منسوب الى الشريف عبيدالله محمد بن عمر الأشرف بن الامام علي زين الدين بن الامام الحسين السبط عليهم السلام وقد عيّن الدكتور مصطفى جواد رحمه الله موقعه بقرب مرقد ( أم رابعة ) في الأعظمية وهو الصواب وفي محلة الفضل في الجهة المقابلة لجامع الفضل مشهد في داخله قبر كتب على بابه رخامة فيها : هذا مشهد النلور وهو قبر عبيدالله . . . . الخ وقد ذكر بعض الافاضل من أهل العلم ممن ادركناه في احد مؤلفاته انه هو الذي اشار على سدنته بوضع هذا اللوح عليه وكان يعرف قبلاً بـ ( السيد عبدالله ) مطلقاً فكان هو سبب هذا التخليط ومن تتبع أخبار المراقد المنسوبة الى غير اصحابها والقبور الجعلية منها وجد العجب العجاب .

(٢٧) المنتظم ٩/٨٥ ، الكامل : ٨/١٧٨ .

(٢٨) ٤/٢٣١ .

(٢٩) ٥/٥١ .

(٣٠) ٥/٣٦٤ .

(٣١) ٦/٢٨٨ .

(٣٢) ١٠/١٤١ .

(٣٣) ١٠/٤٦٦ .

(٣٤) ١/١٠٠ ـ ١٠٣ .

(٣٥) ٢/٢٥٥ .

(٣٦) ٣/٣٤٤ .

(٣٧) ٩/٤٠٢ .

(٣٨) ٢/٧٢ .

(٣٩) سبط ابن الجوزي ( المرآة ) ورقة ٢٦ب .

(٤٠) رحلة ابن جبير ص ١٨٢ .

(٤١) ص ١٠٣ .

(٤٢) ص ٤ .

(٤٣) الحوادث ص ٢ .

(٤٤) رحلة ابن بطوطة ص ١٥١ .

(٤٥) طبعت هذه المجموعة بتقديم الاستاذ محمد جميل شلش والاستاذ الباحث الكبير عبدالحميد العلوجي ( بسكون اللام ) العلوجي وتنصيصهما ومشاركتهما .

(٤٦) ٢/١٠٧ .

(٤٧) ١/٤٤٤ .

(٤٨) ابن الجوزي هذا من حفدة ابن الجوزي العالم الواعظ المؤرخ الشهير المتوفى في سنة ٥٩٧هـ .

(٤٩) ص ٣٢٨ .

(٥٠) ١٠/٤٦٠ .

(٥١) ٤/٣٢٢ .

(٥٢) ٩/٢٠٢ .

(٥٣) ابو سعد المُخرمي هذا منسوب الى محلة المُخرم ( بضم الخاء وكسر الراء المهملة المشدّدة ) وهي محلة ( العيواضية الحالية ) في خطط بغداد اليوم وكان استاذ الشيخ عبدالقادر الجيلي وهو الذي بنى المدرسة العلمية بباب الازج في سنة ( ٥٤٠هـ ) هـ وقال عنها ابن الجوزي في المنتظم « وقد خُفي أثر جميع المدارس في باب الأزج . . . الا مدرسة المبارك المخَرمي ) المفوضة من قبله الى تلميذه الشيخ عبدالقادر وأنتهى التدريس فيها الى الشيخ الجيلي بعد وفاة المخرّمي وسكنها ودفن فيها وهي اليوم مرقد الشيخ عبدالقادر ( رض ) في ( باب الشيخ ) وقد كثر التصحيف في لقب ابي سعد المخرمي هذا فظنه قوم من النساخ ( المخزومي ) نسبة الى بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب القرشيين كما رأيت ذلك في اجازات مشايخ التصوف وإلباس الخرقة .

(٥٤) جاء في هامش ( المنتظم ) بعد قول المؤلف في اصل المنتظم ( وكان متعبداً ) المصحّف قول محققه الدكتور سالم الكرنكوي : « كذا وكأنه سقط شيء ) ولو علم ان الكلمة مصحفة وان الاصل ( وكان معبداً للخلاف بين يديه ) لاستعبداً لما أحتاج الى ( التكذبة ) واحتمال سقوط شيء من الكلام ( المعيد ) هو تلو ( المدرس ) في عُرف العلماء والمدرسين .

(٥٥) ١٢٧/١٠ .

(٥٦) ٢١٣/١٠ .

(٥٧) ٥٦٠/١ .

(٥٨) ٣٨٤/٢ .

(٥٩) ٢٧/٣ .

(٦٠) ١٢٩/٣ .

(٦١) ٤٦/٣ .

(٦٢) ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ من الطبعة الاوربية .

(٦٣) ١٢٤/١٠ ـ ١٢٥ .

(٦٤) ١٦٠/١٠ .

(٦٥) ٤١١/١ .

(٦٦) ١/ قسم العراق ١٤٤ .

(٦٧) ٢١٣/١ .

(٦٨) ٢٢٦/١٠ .

(٦٩) تحقيق : فردناند وستنفلد طـ جوتنجن سنة ١٨٤٦م ص٦٠ .

(٧٠) مادة التاج من معجم البلدان .

(٧١) ١٧٩/٨ .

(٧٢) ١٣٠ .

(٧٣) ٥٢١/٢ .

(٧٤) ص ١٧٠ .

(٧٥) ١٥٦/٧ .

(٧٦) ٣٧/٩ .

(٧٧) ١٧٩/٨ .

(٧٨) المورد ـ العدد الثاني المجلد السادس عشر ص ٢٦ .

(٧٩) ٥٥/٢ .